إعـداد

د/ أحمد تونـي عبـد اللطيـف

الآثـــار

السياسية والاجتماعية والاقتصادية

لحركــــة

البـروانـاه بـآسيا الصغرى

٦٤٢ - ٦٧٦هـ / ١٢٤٤ - ١٢٧٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة :

من الثـابت تاريخيا أن سير مشاهير البشر من الملوك ، والأباطرة ، والقياصرة ، والخلفاء ، والسلاطين ، والأمراء ، والوزراء ، قد حظيت بعناية فائقة لدى معظم المؤرخين القدامى والمحدثين ، فسطروا سيرهم ، وتعقبوا آثارهم مبرزين دورهم في معترك الحياة المحلية والدولية .

بينما على صعيد آخر لم تنل سيرة بعض الشخصيات العامة ، رغم تأثيرها في أحداث التاريخ عناية بعض هؤلاء المؤرخين ، فقد تناسوا عن قصد أو غير قصد التصدي لسيرهم ، وربما يرجع ذلك إلى أن هؤلاء لم يكونوا ذو مكانة مرموقة ، أو على رأس جهاز الحكم في بلادهم .

وهنا يجب أن لا ننسى أن صناعة التاريخ لم تكن وقفا على الشخصيات المرموقة فحسب ، وإنما يشارك في هذا الصنع كل نسيج المجتمع .

وعلى ضوء ذلك اخترنا شخصية عامة موضوعا لبحثنا ، وفي أسطر قليلة متواضعة وعجالة سريعة ، حاولنا كشف النقاب وإماطة اللثام عن هذه الشخصية ، متعرضين لجوانبها ، وما أحدثته من اثار سياسية واجتماعية واقتصادية لبعض بلدان اسيا الصغرى .

وصاحب هذه الشخصية هو " البرواناه " أي الحاجب ، الذي يذكر – مما تناثر في بطون الكتب ، وبين سطورها – أن والده مهذب

الدين علي رحل تحت ضغط المغول من بـــلاد الديلـــم علـــى مقربـــة مـــن بحر قزوين [*] ، إلى أسيا الصغرى ، وهنـــــاك شـــغل منصـــب المســـتوفي أيام " علاء الدين كيقباد الأول " سلطان ســـــلاجقة أســـيا الصغـــرى ، ومـــا أن وفاه الأجل عام ٦٤٢هـــ حتى خلفـــه فـــي وظيفتـــه ولـــده " البروانـــاه " أيام السلطان " غياث الدين كيخســـرو الثـــاني " .

ويبدو أن حياة " البرواناه " في هجرته بعيدا عـــن الأهـــل والوطـــن قد تركت آثار واضحة علـــى شـــخصيته ، وطبعتـــها بخصـــال متعـــددة ، جعلت منه شخصية متطلعة يهتم كثـــيرا بـــالمتصور ويتناســـى المـــدرك ، دائم البحث عن موقع قيادي متميز يحـــاول مـــن خلالـــه إشـــباع رغباتـــه النرجسية وحبه للسلطة ، بعيـــدا عـــن الحقيقـــة والواقـــع reality ، عـــاش أوهامـــا idols ، دون اســـتدلال منطقـــي logical deduction لسياســـته وتصرفاتـــه النـــي جـــانبت الثبـــات imperturbability والغائبـــة teleological ، وجرت على مناطق نفـــوذه عواقـــب وخيمـــة .

ومن هنا لم يرغب " البرواناه " فـــي اســـتعادة وعيـــه بـــالأحداث ، ولا حتى تذكرها ، ولا تدقيقه فيما مضـــى منـــها ليستشـــرف المســـتقبل لأن عودة الوعي تقتضي فهم ما حدث ، وهذا الفـــهم يمثـــل علـــى حـــد تعبـــير هيجل ، أسلوب الإنسان في التعامل مـــع الواقـــع .

(*) راجع ابن خردازبة ، أبو القاسم عبيد الله بـــن عبـــد الله ت ٣٠٠هـــ " المســـالك والممالك " مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ص٥٧ .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مادة بحر الخزر .

و" البرواناه " كما أوضحنا ترك الواقع ليعيـــش خيـالا باحثـا فيــه عن مجد ضـائع .

ولقد قادتنا سطور البحث وسياسة " البرواناه " إلى اتباع منهج معين لم يكن المهم فيه رصد المواقع والحروب والصراعات التي تسببت فيها سياسية " البرواناه " ، وإنما تتبع أثار تلك السياسة على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والحربي .

ولقد قسمت البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول :-

جاء التمهيد ليلقي ضوءاً على شخصية " البرواناه " من حيث اسمه ولقبه وموطنه الأصلي ، ونزوح والده وتوليه وظيفة المستوفي ، وارتقاء " البرواناه " بعد ذلك هذه الوظيفة خلفاً لأبيه ، ليبدأ عندئذ في ممارسة دوره لتحقيق أغراضه .

أما الفصل الأول ، فجاء ليوضح بداية ظهور نجم " البرواناه " وصعوده منذ تبادل المراسلات بين " هولاكو خان " زعيم الإيلخانيين بفارس ، " وركن الدين قليج أرسلان الرابع " سلطان سلاجقة أسيا الصغرى ، وكيف تزايد هذا الصعود حتى أصبح "البرواناه " وصيا على " غياث الدين كيخسرو الثالث " ابن السلطان " قليج الرابع " إثر مقتل والده ، كما أوضح أيضاً مناورات " البرواناه " مما أضر بالوضع السياسي لأسرة السلاجقة باسيا الصغرى ، إذ تدخل في شئون الحكم ، واشترك في اغتيال أحد سلاطينها ، كما ألب " البرواناه " عناصر أخرى عليه كمقدمة لتغير اجتماعي ، ثم محاولة الإيقاع بين القوى السياسية الدولية المعاصرة كالمغول والمماليك ، فانتقل

بمناوراته عندئذ من الإقليمية إلى العالمية ، مما عكس أثارا سياسية اجتماعية أصابت بعض البلدان ؛ كسيس مثلا قاعدة أرمينيا كقوة مجاورة لمنطقة نفوذ " البروانـاه " .

ويكشف هذا الفصل أيضاً عن العديد من المناورات الاجتماعية لسياسة " البروانـاه " ؛ ولعل أبرزها محاولة كسب ود وولاء ملك الأرمن " هيثوم " عن طريق المصاهرة والتي حالت الظروف دون إتمامها ، وضلوعه في زفاف ابنة السلطان " ركن الدين قليج أرسلان الرابع " لأباقا خان .

ويأتي الفصل الثاني ليشير إلى دور " البروانـاه " في الصراع الدولي الذي نشب بين قوتي المماليك والإيلخانيين بطريقة غير مباشرة ومباشرة حول مناطق النفوذ ، وتنامي هذا الصراع وتعدده ، وما أفرزه من تغير اجتماعي سياسي في نسيج آسيا الصغرى منطقة نفوذ "البروانـاه " ، كما أشار إلى ظهور عرب " بني كلاب " في الصراع بين " هيثوم " ملك الأرمن وبين بلدان الشام التابعة للمماليك ، ومتابعة الصراع المتكرر حول قلعة البيرة ، والتدمير والتخريب الذي لحق بتلك القلعة ، ثم محاولات " بيبرس " رعايتها والعناية بها ، كما كشف هذا الفصل عن بداية أفول نجم " البروانـاه " وتناقصه لحد الانحسار .

ويأتي الفصل الثالث ليعلن نتيجة لسياسة " البروانـاه " عن المواجهة الساخنة بين المماليك والإيلخانيين في موقعة ابلستين ، وما تركته هذه الموقعة من اثار سياسية واجتماعية واقتصادية على منطقة اسيا الصغرى ؛ التي كانت بعض بلدانها مسرحا للقتال ، كما تعرضت

أخرى لهجوم " بني قرمان " واعتلاء سلطة السلاجقة بها ، فضلا عن الضرر الاقتصادي الذي لحق بتلك البلاد .

وكان طبيعيا أن يلقي " البرواناه " جزاء ما صنع ، فأحيل إلى المحاكمة على أيدي رفقائه الذين أجلسوه في مكانه ، وانتهت المحاكمة كما أكد الهمذاني بمقتله ، لتنتهي حركته التي أقلقت مضاجع آسيا الصغرى قرابة خمسة عشر عاما .

ولكن بالرغم من أن " البرواناه " كان شخصية نرجسية متطلعة يمثل الحياة الأولى – من حيوات فيثاغورث الثلاث – الباحثة عن الكسب فقط (*) ، إلا أن هذه الدراسة قد تفسح مجالا لتتبع آثار وسلوك بعض الشخصيات العامة التي لم تكن تحظى بموقع سياسي أو اجتماعي مرموق ، لكنها لسياستها قد تسببت في إحداث بعض التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مجرى التاريخ ، كذلك يجب أن تنال ولو قسطا من الدراسة سواء كانت شخصيات إيجابية أم سلبية فهناك نسبية تحددها وجهة نظر البحث .

(*) وورنر (ريكس) : فلاسفة الإغريق ، ترجمة عبد الحميد سليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٨٥م ، ص٢٢ .



تمهيد

من هو البـروانـاه؟

<u>من هو البروانـــاه ؟</u>

" البروانـاه " هو " **معين الدين سليمان بـــن علـــي بـــن محمـــد بـــن حسن الكاري** " الشهير بالبروانـاه – رحل والـــــده " مـــهذب الديـــن علـــي " تحت ضغط المغول من بلاد الديلم(*) ، إلــــى آســـيا الصغـــرى فـــي عـــهد (عـــلاء الديـــن كيقبـــاد الأول ٦١٦ – ٦٣٤هـــــ / ١٢١٩ – ١٢٣٦م) سلطان الســـــلاجقة بـــها ، وهنـــاك نجـــح " مـــهذب الديـــن علـــي " والـــد "البروانـاه " في الحصول على وظيفة مستوفي (*) خلفـــا " لســـعد الديـــن "

---

* <u>الديلم</u> : قال ياقوت (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبـــد الله الحـــوي الرومـــي البغدادي) ت ٦٢٦هـــ / ١٢٨٨م .

الديلم : الموت ، والديلم : الأعداء ، والديلم : النمل الأســـود ، والديلـــم : جبـــل ســـموا بأرضهم في قول بعض أهل الأثر ، فوليس باسم لأب لهم ؛ قال المنجمون الديلم : في الإقليم الرابع طولها خمس وسبعون درجة ، وعرضها ســـت وثلاثـــون درجة وعشر دقائق .

معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، لبنان ، المجلد الثـــاني ، مـــادة " ديلـــم " ، ١٣٩٧هـــ / ١٩٧٧م .

* <u>المستوفي</u> : بضم الميم وسكون السين وفتح التاء وكسر الفاء ممدودة – في الوظـــائف الديوانية : هو الكاتب الذي تلي وظيفته ناظر الديوان ، واختصاصاته : ضبـــط الديوان ، والتنبيه على ضرورة استيفاء مستحقاته الماليـــة لـــدى أربابـــها فـــي مواعيدها ومراقبة موظفي الديوان ، ويسمى " قطب الديـــوان " . وفـــي إطـــار وظيفة المستوفي كانت هناك تخصصات منها : مستوفي أصـــل ، ومســـتوفي الجيش ، ومستوفي خاص ، ومستوفي الدولة ، ومستوفي الصحبة ، ومســـتوفي مباشر ، ومستوفي المرتجعات .

انظر د/ محمد عمارة ، قـــاموس المصطلحـــات الاقتصاديـــة فـــي الحضـــارة الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولـــى ١٤١٣هـــ / ١٩٩٣م ، ص٥٣٣ – ٥٣٤ .

المستوفي السابق إثر وفاتـــه .

وفي عهد السلطان " علاء الديـــن كيقبـــاد الأول " ارتقـــى " مـــهذب الدين علي " والد " البروناه "منصب الوزارة ، وذلـــك بعـــد زواجـــه مـــن ابنة " سعد الدين " المستوفي والتي أنجبـــت لـــه ابنـــه " البروانـــاه " ، ومـــا أن توفى " مهذب الدين علي " عام ٦٤٢هـــــ / ١٢٤٤م حتـــى خلفـــه فـــي منصبه ابنه " البروناه " على عهد السطان غياث الديـــن كيخســـرو الثـــاني ٦٣٤ - ٦٤٤هـــ / ١٢٣٦ - ١٤٤٨م . و" البروانـــاه " كلمـــة فارســـــية تعني الحاجب Chambellan [١] وقد أطلقت عـــلى الوزيـــر الأكـــبر لـــدى سلاجقة آسيا الصغـــرى .

ويذكر التاريخ أن " البروناه " قد قدر لـــــه أن يلعـــب دورا سياســـيا بارزا في تاريخ آسيا الصغـــرى ، علـــى المســـتويين المحلـــي والدولـــي ؛ فعلى المستوى المحلـــي : قـــام بأعمـــال اتســـمت بالمنـــاورات أقلـــق مـــن خلالها بال السلاجقة ، كما أوقع الفرقة بين أبنـــاء البيـــت الحـــاكم ، فضـــلا عن امتداد يده لإغتيال بعض أفراد هـــذا البيـــت .

وعلي الصعيد الدولـــي : آثـــار الفتنـــة بيـــن زعمـــاء الايلخـــانيين بفارس ونوابهم بآسيا الصغرى ، كما عرض بعـــض تلـــك البـــلاد بســـبب نرجسيته لويلات الحرب المدمرة مـــن جـــانب القـــوى الخارجيـــة ، ممثـــلا ذلك في المماليك بمصـــر ، والإيلخـــانيين بفـــارس ، دون أن يقـــدر دهـــاء التـــاريخ .

وبالفعل وقعت الحرب كمـــا يؤكـــد التـــاريخ بيـــن الطرفيـــن ، بقيادة كلا مـــن (**بيـــبرس** [٢]) المملوكـــي ، و(**وأباقاخـــان** [٣]) المغولـــي ، مما ســـيترك آثـــارا واضحـــة علـــى الأوضـــاع السياســـية والاقتصاديـــة والاجتماعية لسلاجقة اسيا الصغرى منطقـــة نفـــوذ "البروانـــاه" .

الفصل الأول

البـروانـاه

بـيـن صعود نـجمه وتـعدد مـناوراته

النرجسية شخصية مركبة يتصف أصحابـــها باســتغلال الآخريــن، وتسخيرهم لغاياتهم ومصالحـــهم ، كمـا يتصفـوا أيضـا بحـب الزعامـة والتطلع إلى تقمص الأدوار المتسلطة ، ولا غـــرو فــإن هنــاك ثمةعلاقــة بين النرجسية والعدوانية والحاجة إلـــى الســلطة[٤] .

وممــا لاشــك فيـــه أن " البروانـــاه " واحـــد مـــن أصحـــاب هـــذه الشخصية ؛ فهو دائم البحث عن طوق نجاة أو ثغـــرة يحقــق مـــن خلالـــها بريقا يشد أنظار الناس إليه ، فإذا أضفنـــا إلـــى ذلــك الظـــروف السياســـية والعسكرية المحلية منها والدوليـــة المحيطـــة بـــه ، لرأينـــاه فضـــلا عـــن تطلعه الشخصي وبحثه عن السلطة ، يحـــاول دائمـــا الاســـتفادة مـــن هـــذه الظروف ليكون شخصية لامعة ، مســتفيدا مـــن الظـــروف التـــي أحـــاطت به ، وكانت إفرازا طبيعيا للتوترات المحليـــة والدوليـــة .

ولعل أول بارقة أمل اســـتفاد منـــها " البروانـــاه " ؛ تلـــك الرســـالة التـــي وجهـــها "هولاكـــو خـــــان [*] " (٦٥٤ – ٦٦٣هـــــ / ١٢٥٦ – ١٢٦٤م) زعيم الإيلخانيين بفـــارس إلـــى " ركـــن الديـــن قليـــج أرســـلان

* **هولاكو خان** : أسس هولاكو خان دولة المغول بفارس ، والتي عرفت في التاريخ باسم دولة الإيلخانيين عام ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م ، وظل في حكمها حتى توفـــي في التاسع عشر من ربيع الثاني عام ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م . بعد أن بلـــغ الثامنة والأربعين من عمره .

راجع : الهمذاني ، في (جامع التواريخ) مجلـــد ٢ جـــ١ ص٢٣٧ – ٣٤١ . وابن أبي الفضائل في (النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد) ص١٤٥ .

الرابـــع " (٦٥٩ – ٦٦٤هــــ / ١٢٦١ – ١٢٦٥م) سلطان سلاجقة آسيا الصغرى قائلا له " **من الآن يصلح للتردد في الأشغال ، قال ما يصلح أحد لذلك سوى البرواناه فترقت منزلته من ذلك التاريخ** [٥] "

وبالطبع دلت هذه الرسالة على أن " ركن الدين قليج أرسلان الرابع " كان راضيا عن " البرواناه " ، وبناءا على هذا الرضا وتلك الحظوة ، أصبح " البرواناه " بمثابة السفير بينه وبين " هولاكو خان "، فالظروف هنا هي التي خدمت " البرواناه " مما جعلت نجمه السياسي يبدأ في الظهور .

لكن " البرواناه " لم يحفظ جميل " سيده ركن الدين " بل تنكر له وتمرد عليه ، ولعل ما يوضح ذلك اغتنامه الفرصة التي لاحت له عندما نشب الصراع الأخوي على السلطة بين كل من " عز الدين كيكاوس الثاني " ، " وركن الدين قليج أرسلان الرابع " ابني غياث الدين كيخسرو الثاني (٦٣٤ – ٦٤٤هـــ / ١٢٣٧ – ١٢٤٦م[٦]) طمعا منه في إشباع رغباته ، وإرضاءا لطموحاته وتطلعاته .

وحتى لا ينكشف أمره مبكرا ، أو يأتي أفعالا تعلن عن نواياه مسبقا ، يحاول " البرواناه " التقية ؛ فيظهر لسيده وصاحب الفضل عليه " ركن الدين قليج ارسلان الرابع " إنحيازه إليه لشد أزره ، تساندهما بعض قوات الإيلخانيين ، لكن الرياح في الغالب لا تأتي بما تشتهي السفن ، فانهزما والإيلخانيين شر هزيمة على يد " كيكاوس

الثاني " ورجاله في معركة وزداع (**جبل النجم** (*)) عام ٦٥٩[٧]هـ

وفي هذا الصدد يذكر " ابن العبري [٨] " أن السلطان " عز الدين كيكاوس " صاحب الروم طلب ليكون في خدمة مونككا قان (*) ،فتجهز وسار إلى مدينة **سيواس**(*) ،ولما سمع أن الأمراء قد مالوا إلى أخيه " ركن الدين " ويرغبون تمليكه " **عاد مسرعا إلى قونية وأرسل أخاه علاء الدين وكتب معه كتبا يذكر فيها : أنني قد سيرت أخي علاء الدين وهو سلطان مثلي وأنا لم يمكنني المجيء بسبب أن أتابكي ومدبري جلال الدين قرطاي قد مات وظهر لي أعداء من ناحية الغرب ، فإذا كفيت شرهم جئت المرة الأخرى ، فلما سار علاء الدين توفي في الطريق ، ولم يصل إلى الأردو** . وأراد عز الدين أن

---

* جبل النجم : ذكر ياقوت : أن قلعة النجم قلعة حصينة مطلة على الفرات على جبل تحتها ربض عامر ، وعندها جسر يعبر عليه ، وهي المعروفة بجسر منبج ، بينها وبين منبج أربعة فراسخ .(معجم البلدان) جـ٤ مادة قلعة النجم .

* مونككا قان : حكم منككا قان أحد خانات المغول الكبار في منغوليا وشمالي الصين من عام ٦٤٩ - ٦٥٨هـ / ١٢٥١ - ١٢٦٠م .

بوزورث (كليفورد أ - ، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي) دراسة في التاريخ والأنساب ، ترجمة : حسين علي اللبودي ، مراجعة : د/ سليمان ابراهيم العسكري ، الطبعة الثانية ، الكويت ، مؤسسة الشراع العربي ١٩٩٥م ، ص٥٦ .

* سيواس : بكسر السين وسكون الياء ، بلدة مشهورة بأسيا الصغرى تقع غربي أرزن الروم . أبو الفداء ، تقويم البلدان ص٣٨٤ - ٣٨٥ .

يقتل ركن الدين أخاه الآخر ويأمن غائلته فأحس الأمراء بذلك ، وهربوه بأن ألبسوه ثياب بعض غلمان الطباخين ، ووضعوا على رأسه خوانجة فيها طعام وأخرجوه من الدار والقلعة في جماعة من الصبيان قد حملوا طعاماً إلى بعض الدور ، فلما خرج أركبوه فرساً وساروا به حتى أوصلوه إلى قيسارية وانضم إليهم هناك جماعة من الأمراء وجيشوا وتوجهوا نحو قونية ليحاربوا عز الدين ، فبرز إليهم عز الدين بمن معه من العسكر ، فكسرهم وهزمهم وأسر ركن الدين أخاه واعتقله بقلعة دوالوا (*) " Daulu .

ولما كان النصر دائما يغري صاحبه بالبريق والتعالي ولو لبعض الوقت ، فإن كيكاوس الثاني قد وقع تحت هذا التأثير ؛ فلم يحتط لنفسه ، ولم يخطط لما بعد النصر كما هو معروف : من حفظ الحدود وتأمين الطرق والتأهب للقتال ، الأمر الذي حدا بغريميه " قليج الرابع " ، و" البرواناه " أن يعيدا الكرة علية ثانية ليثأرا من هزيمتهما، وبالفعل وقع القتال بين الطرفين وانتهى في غير صالح " كيكاوس الثاني " ، مما اضطر على أثره للفرار إلى القسطنطينية (٩) .

---

* **دوالوا :** من مدن آسيا الصغرى ، وكانت تحت حكم سلاجقة الروم تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة قيسارية .

كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، نقله إلى العربية بشير فرنسيس ، كوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م ، ص١٧٨ .

وهكذا رأينا كيف دخل " البروناه " حلبة الصراع بين الأخوين " كيكاوس الثاني" ، و" قليج الرابع " ، وكيف شجع هذا الصنيع عناصر الإيلخانيين للدخول فيه ، مما سيكون له أثر على الأوضاع السياسية مستقبلا ، لا سيما وأن منطقة نفوذ " البروناه " تحيط بها قوى سياسية متعددة كالمماليك والإيلخانيين ، والأرمن ، والبيزنطيين وغير ذلك .

ويشير " ابن العبري " إلى دخول " البروناه " في الصراع بين الأخوين قائلا " تأهب عز الدين سلطان قونية للقدوم إلى خدمة ملك الملوك إذ كان السفراء يلحون عليه في ذلك ، ولما ضرب خيامه خارج قونية مستعدا للرحيل وأفاه جاسوس يقول له : أن اليفاق نوين وصل إلى اقسرا (*) ومعه أخوك ركن الدين ، وفروانا وهما مستعدان أن يوثقاك بالسلاسل ويذهبان بك إلى ملك الملوك ، فهلع وترك خيامه، وأخذ بيته وأهله وانهزم إلى قسطنطينية يريد ميخائيل ملك اليونان ، ثم إن اليفاق نوين مضى بالسلطان ركن الدين إلى قونية وأجلسه على العرش الملكي وتولي تدبيره فروانا (١٠) "

---

* **اقصرا (أقسراى)** مدينة باسيا الصغرى قال عنها أبو الفدا في كتابه (تقويم البلدان) ص٣٨٣ أنها تقع على بعد ثلاث مراحل إلى الشرق من قونية ، ويرى لسترنج في كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) ص١٨٢ أن السلطان قليج أرسلان الثاني قد شيدها في عام ٥٦٦هـ / ١١٧١م ويعني أسمها القصر الأبيض .

ولو تساءلنا لماذا زجّ " البرواناه " بنفسه في هـــذا الصـــراع ؛ هـــل كان يقصد مناصرة " قليج الرابع " علـــى أخيـــه " كيكـــاوس الثـــاني " ، أم كان من أجل إعـــلاء شـــأن الإيلخـــانيين ؟ أم أنـــه كـــان يعمـــل لحســـابه الخـــلص ؟ .

وبالطبع كانت الأخيرة ، فلم يحفظ جميـــل ســـيده عليـــه ، بـــل إنـــه تنكر حتى للإيلخانيين الذين أيدوه من قبـــل ؛ فشـــق عصـــا الطاعـــة علـــى زعيمهم " هولاكو خان "حيـــن رفـــض طلبـــه فـــي اســـتدعائه إليـــه عـــام ٦٦١هـــ / ١٢٦٢م متعللا بانشغاله فـــي حصـــار أحـــد العصـــاه ويدعـــى "شاه ملك" كما أكد ذلك اليونينـــي [١١] .

وإن دل هذا على شئ فإنما يـــدل بوضـــوح علـــى أن " البروانـــاه " كان بالفعل يعمل لحسابه الخاص ، دون اكتراثـــه بـــالآخرين ، لذلـــك نـــراه لم يوقف نشاطه عند حد العصيـــان والتمـــرد وعـــدم الاســـتجابة فحســـب ، وإنما يتعدى كل هذا إلى عمـــل أكـــبر وأخطـــر ألا وهـــو تدبـــير مؤامـــرة هدفها اغتيال " قليج أرسلان الرابـــع " ســـلطان ســـلاجقة آســـيا الصغـــرى عام ٦٦٤هـــ / ١٢٦٥م . والذي كان من قبل قـــد مـــد لـــه يـــد العـــون ، مما يؤكد انشغال " البروانـــاه " بنرجســـيته .

ولكي ينفذ " البرواناه " مؤامرته التي كـــان يصبـــو إلـــى تحقيقـــها ، وضع لها خطة تعتمد على أكثر من محور : بدأهـــا بتعييـــن رجـــل اســـمه " **ضياء الدين محمود بن الخطير** " مراقبا ونديمـــا للســـلطان فكـــان عينـــه عليـــه [١٢] .

ولا غرو فقد اتت هذه الخطة ثمارها ؛ فحين أوجس " ضياء الدين بن الخطير" خيفة من السلطان تجاه " البرواناه " ، أبلغ أخاه " شرف الدين بن الخطير " بذلك الأمر ، فلم يتوان الأخير في إبلاغ " البرواناه " بنية السلطان تجاهه (١٣) .

وعندئذ بدأ " البرواناه " استكمال بقية خطته للإطاحة " بركن الدين" ، فراسل "أباقا خان " زعيم الإيلخانيين بعد وفاة أبيه " هولاكو خان " عام ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م مُعلِماً إياه باعتزام السلطان خلع طاعته وبالطبع كان ذلك لضرب العلاقة بين الطرفين واحداث هوة بينهما .

لم يكتف " البرواناه " بهذا األمر بل نراه يوشي بين الإيلخانيين والمماليك لإحداث توتر في العلاقات بينهما ؛ إذ كتب إلى " اباقا خان " قائلا " **إن نية ركن الدين قد تغيرت فيك ، وربما كاتب صاحب مصر ليسلم إليه البلاد** (١٤) " .

وهنا نرى " البرواناه " يتخطى بنشاطه المحلية والإقليمة ليسهم في إحداث توتر في العلاقات الدولية بين المماليك والإيلخانيين ، والذي سوف ينشأ عنه في المستقبل القريب صراع بين الطرفين حسبه في ذلك أن يحقق مزيداً من المكاسب الشخصية .

وإذا كان رد " اباقا خان " على " البرواناه " قد جاء مطمئنا ، حينما قال له : إذا ثبت ذلك عند نوابي المغل فافعل ما تختار ، وكأنه بهذا الرد منحه شرعية التصرف في بلاد السلطان حسب رغباته وتطلعاته ، إلا أنه كان اطمئنانا مؤقتا ؛ ذلك لأن تنامي القوى بين المماليك والإيلخانيين ، وبحث كل منهما عن المزيد من المكاسب

الإستراتيجية والسياسة ، حتما سيؤدي إلى إشعال نيران الحرب بينهما، بما لها من سلبيات وإيجابيات .

نعود إلى المؤامرة ونقول : إن السلطان " ركن الدين " كان فيما يبدو على علم بما يدبر له في الخفاء ؛ بدليل محاولة استدعائه "البرواناه" لكي يفوت الفرصة عليه ، إلا أنه بالرغم من ذلك لم يستطع النجاة من براثنه ، إذ أحكم " البرواناه " خطته للتخلص منه ، فذهب قبل رده على طلب السلطان – بشأن استدعائه – إلى أمراء الإيلخانيين بآسيا الصغرى (**نابشى ، وكداي ، وبردو ، ونوغاتمر**) وغيرهم مقدما إليهم هداياه الفاخرة بقصد استدرار عطفهم ، وإطلاعهم على نية السلطان نحوه من حيث رغبته في التخلص منه ، والانتماء بعد ذلك "لبيبرس" سلطان المماليك بمصر مما سيجعل الدور لابد أنه آت عليهم أيضا للتخلص منهم (١٥) .

وبهذا الفكر وخشية على المصالح توحد هدف " البرواناه " والإيلخانيين من رفاقه ، على التخلص من السلطان " ركن الدين قليج أرسلان الرابع " لتصفوا لهم البلاد كما يعتقدون ، وعلى أثر هذا التطلع توجه " البرواناه " ورفاقه إلى مدينة اقصرا (اقسراي) ، وفور وصولهم راسلوا السلطان بقونية طالبين إياه بالخروج إليهم والاجتماع معهم للتشاور في بعض الأمور التي أبلغهم إياها " اباقا خان ".فانطلى ذلك على السلطان ولم يحتط لنفسه فخرج إليهم وهم مصطفون للقائه ، وما أن اقترب – السلطان – منهم حتى أظهر له " البرواناه " – تقية

منه – فروض الــولاء والطاعــة ، لكــي لا يداخلــه شــك أو ريبــة فــي موقفــه(١٦) .

ولكن سبق السيف العزل ، والقرار كان قــد انتــهى ، فبتدبــير مــن " البرواناه " أعد الإيلخانيون وليمـــة بـــاقصرا للســلطان دســوا لـــه فيــها السم، وما إن تناول السلطان الطعام حتـــى بـــدت عليــه علامـــات التعــب فنقل على أثرها إلى خركاه (*) الأمير نابشي ، حيــث كــانت نهايتــه علــى أيدي أحد رفاق " البرواناه " عـــام ٦٦٤هـــ / ١٢٦٥م (١٧) .

حمل بعد ذلـــك جثمـــان الســلطان إلـــى قونيــة ، وعندئــذ أقـــام " البرواناه " بمساعدة الأمراء الإيلخـــانيون ابنـــه (غيـــاث الديـــن كيخســـرو الثالث ٦٦٤- ٦٨١هـــ / ١٢٦٥ – ١٢٨٢م) خلفا له فـــي الحكــم ، ولــم يكن قد بلغ بعد من العمر ســوى أربعـــة أعـــوام ، فوضـــع لصغـــر ســنة تحت وصاية " البرواناه "، وتلك إحدى أمانيه لتســـلس لـــه مقـــاليد الأمـــور بآسيا الصغـــرى (١٨) .

ويعلق " ابن العبري " في " تاريخ الزمـــــان " علـــى هـــذا الحديــث قائلا " **حاول ركن الدين صاحب بلد الروم أن يهلك بروانـــــه الــذي وطــده في التخت الملكي وساعده كـــل المســـاعدة فـــي تعزيـــز أعمالـــه ، فلمـــا أطلع بروانه على ذلـــك أخـــبر زعمـــاء المغـــول ، وكـــان ركـــن الديـــن**

---

* خركاه : الجمع خركاوات ، وهي كالبيت تصنع من الخشب علـــى هيئـــة مخصوصـــة تغشى بالجوخ ونحوه ، وتحمل في السفر لتكون في الخيمة لتقي العســكر من البرد .

النويري :المصدر السابق ص٤٢٠ .

عندهم، فأشاروا إلى أحدهم فقصد خيمته وهو متكئ هناك وألقى وترا في رقبته وخنقه ، ومضوا به فدفنوه ، وأقام التتر بدلا منه غياث الدين وعمره يومئذ أربع سنين " [١٩] .

ورغم الخلافات البسيطة في رواية الحدث بين كل من "الآقسراي" ، و" ابن العبري " ، إلا أنهما أتفقا في المضمون ، وزاد ابن العبري في روايته أن ركن الدين سلطان سلاجقة آسيا الصغرى كان متنبها لخطورة " البرواناه " كما ألمحنا من قبل ، لذلك حاول الإيقاع به لدى المغول (الإيلخانيون) ، لكن " البرواناه " كان أكثر توفيقا وحظا لدى الإيلخانيين في التخلص من السلطان ، لأن هذا الأمر في صالح الإيلخانيين أيضا " فالبرواناه "ليس من الأسرة الحاكمة مما زاد نفوذه وبالتالي فالشرعية ليست له بالقريب .

وهكذا تأكدت لنا نرجسية " البرواناه " الذي لم يكن يعمل في بلاد سلاجقة آسيا الصغرى إلا لحساب نفسه ، فلم يكتف كما رأينا بإشعال نيران الحرب في عام ٦٥٩هـ بين الأخوين " عز الدين كيكاوس الثاني " ، " وركن الدين قليج أرسلان الرابع " ، ولا بالتمرد على الإيلخانيين من بعد ، وإنما دبر مؤامرة راح ضحيتها السلطان "قليج الرابع" نفسه عام ٦٦٤هـ .

ومنذ تلك اللحظة أصبح " البرواناه " وصيا على العرش لصغر سن الوريث ، ولعل وصايته على العرش هي أبرز النتائج التي تمخضت عن تلك المؤامرة ، إذ أصبح يمارس الحكم الفعلي من خلال قناة شرعية ، ومن ثم فقد استطالت يده في تلك البلاد .

وبالطبع لم يرض الأمراء الإيلخانيون عما وصل إليه "البروناه" من نفوذ ومكانة ، وتلك سمة أصحاب المطامع ، مما أحدث توترا في العلاقات بينه وبينهم .

وبناء على هذا التوتر عمل كل من الطرفين على التخلص من نفوذ الآخر ، وبدأ " البرواناه " تخطيطه بمحاولة كسب بعض الوقت ليحدث قلقا في العلاقات الدولية بين كل من " آباقا خان " زعيم المغول ، وبيبرس سلطان المماليك بمصر مستخدما في ذلك " آجاي " أخي " آباقا خان " كأحد آلياته .

إذ إلتقي " بآباقا خان " عام ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م ليؤلبه على أخيه " أجاي " أحد أقوى الأمراء الإيلخانيين بآسيا الصغرى بتهمة ممالأته للظاهر بيبرس حاكم مصر .

وفي ذلك يحدثنا اليونيني " على لسان " البرواناه " قائلا " **إن أخاك آجاي عازم على قتلي والاستيلاء على ملك الروم والانتماء إلى صاحب مصر** " (٢٠) .

وإذا كان " اليونيني " قد أكد على رغبة " البرواناه " في خلق جو من التوتر بين " آباقا خان " وأخيه " آجاي " ، كما فعل ذلك بين كل من " كيكاوس الثاني " وقليج الرابع ، فإن " النويري " يشير أيضا إلى توتر أكبر بين المماليك والإيلخانيين ودور " البرواناه " فيه .

فيذكر في عام ٦٧٠هـ أن بيبرس استقبل " **رسل التتار ، وهم رسل ضمغار مقدم عسكر التتار بالروم ، ورسل البرواناه ، فحضروا بين يدي السلطان وسمع مشافهتهم ، وتضمن الكتاب الذي على**

أيديهم الرغبة في الصلح وطلب رسل من السلطان ، فجهز عليهم الأمير مبارز الدين الطوري أمير طير ، والأمير فخر الدين المقري الحاجب ، فتوجها هما والرسل في نصف شوال سنة سبعين ، واجتمعا بصمغار ، بين سيواس والجسر ، فأكرمهم وأوصلوه ما كان معهم من الهدية ، وهي : قسي تسعة ، ودبابيس تسعة ، واعتذروا عن قلتها كونهم حضروا على خيل البريد ، وفي اليوم الثاني اجتمعا بالبرواناه وأعطياه قماشا فاخرا كان السلطان قد سيره إليه خفية ، وسير معهما هدية لأبغا بن هولاكو ، وهي جوشن ريش قنفذ وخوذة كذلك ، وسيف ، وقوس ، ودركاش وتسع فردات نشابا ، وتوجهوا صحبة البرواناه إلى الأردو ، وأوصلوا إلى آبغا هديته ، وقال له الأمير مبارز الدين الطوري" السلطان يسلم عليك ويقول : إن رسل منكوتمر وردوا إليه مرارا ، أن السلطان يركب من جهته ، ويركب الملك منكوتمر من جهته ، وأين وصلت خيل سلطاننا كان له ، وأين وصلت خيل منكوتمر كان له " فانزعج أبغا انزعاجا عظيما ، وقام وركب وخرجت الرسل إلى خيامهم ثم طلب أمراءه للمشورة ، وبعد ذلك خلع على الرسل وأذن لهم في السفر فعادوا " (٢١) .

والنص في ظاهره يشير إلى عدد من المنحنيات منها : علاقة ودية بين "البرواناه " وبعض أمراء التتار باسيا الصغرى ؛ بدليل مقابلتهم معا " لبيبرس " ومشافهتهم اياه ورغبتهم في إيفاد رسله إليهم، ومنها أن " بيبرس " بهداياه ورسله دلل على علاقة ودية بين الطرفين، ومنها علاقة ودية مصطنعة بالطبع بين " بيبرس " و"اباقا خان " بدليل هدية الأول للثاني .

هذا عن ظاهر النص ، وأمـــا باطنــه فيشـير إلـى نقـاط مهمـة أولها: خلاف وتوتر ومشاحنة بين الأمـراء الإيلخـانيين بآسـيا الصغـرى بعضهم والبعض الآخر بتأثير مـن "البروانـاه " ، وثانيـها تمـيز العلاقـة بين " بيبرس " و" البرواناه " ، بدليـل هديتـه الخاصـة السـالفة الذكـر ، وثالثها : تصعيد الموقف بيـن " بيـبرس " و" آباقـا خـان " ، ولاشـك أن "البرواناه " كان ضالعا في كل هــذا .

ولكي يدلل " البرواناه " على هذا الدور ويزيـد مـن حـدة الـنزاع والتوتر ، ويتخلص في نفس الوقت من نفوذ " آجـاي " راسـل كـلا مـن " بيـبرس " و" آباقـا خـان " زعيمـي الممـاليك بمصـر ، والإيلخـانيين بفارس؛ إذ طلب من الأول سرعة توجهه إلى آسـيا الصغـرى ليكـون لـه عونا إذا ما نشب القتال بينـه وبيـن " آجـاي " ، لايسـما وأن " آجـاي " كان نفوذه قد ازداد وحقده أسفر عنـه تجـاه " البروانـاه " ، كمـا طلـب " البرواناه " من الثاني بطريق غـير مباشـر تقليـم أظـافر " آجـاي " ، إذ ألب عليه بعض الأمراء الإيلخانيـة والأعيـان بآسـيا الصغـرى ، طالبـا منهم مراسلة " آباقا خان " فـي اسـتدعائه مـن موقـع نفـوذه ، فأجابـهم "آباقا خان" إلى ذلـك [٢٢] .

ويؤكد " اليونيني " هذا الموقـف قـائلا " إن آجـاي ضـرب نـواب البرواناه ، وضياء الدين بـن الخطـير ، واسـتأصل أموالـهم وتعـرض لمن سواهم من الأعيان ، وعنفهم فكتبـوا إلـى أبغـا بذلـك فبعـث إليـه يطلبـه " [٢٣] .

ويفهم من هذا الكلام أن نفوذ الأمير " آجاي " كان وقتذاك قد ازداد بأسيا الصغرى ، ومن هنا اتفقت عليه كلمة كل من " البرواناه " و " اباقا خان " للحد من نفوذه والتخلص منه . وبالطبع من شأن هذا العمل أن يكون في صالح " البرواناه " الذي سعى بكل طاقاته إلى تحقيق ما يصبو إليه من تطلع وسيادة .

ولأمر " أباقا خان " غادر اجاي أسيا الصغرى متجها إلى "تبريز" لمقابلة الخان ، فتنفس " البرواناه " عندئذ الصعداء ، لكن "بيبرس" سلطان المماليك بمصر لم يتركه يهنأ طويلا بآماله وأحلامه ؛ إذ كان قد استجاب لندائه السابق ، فتقدم بقواته نحو أسيا الصغرى ، وما أن وصلت طلائعه إلى بلاد الشام حتى أدرك " البرواناه " خطأه باستدعائه ، فخشي على نفسه وعلى نفوذه فراسله راجيا منه وقف تقدمه [٢٤] .

فعل ذلك " البرواناه " ، لأنه كان لا يرغب – طالما أن الأمر قد استتب – في دخول قوات أجنبية إلى مناطق نفوذه ، حتى يظل في الصدارة كما كان يأمل ، وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على نرجسيته التي جعلته لا يقدر دهاء التاريخ .

المهم أن " بيبرس " استجاب لرجاء " البرواناه " ، وربما كان ذلك من قبيل المناورة ، فاكتفى بغزو مدينة " سيس " قاعدة أرمينية

الصغرى ، كما افتتح بعض المدن الثغرية كإياس (*) ، وأذنة (*) والمصيصة (*) لأهميتها ، ثم عاد بعد ذلك إلى دمشق [٢٥].

ويبدو أن " بيبرس " اعتبر ما قام به من قبيل الغزوة الاستكشافية تمهيدا لدخوله آسيا الصغرى عندما تحين الفرصة .

وعن غزو " بيبرس " لمدينة " سيس " يحدثنا النويري [٢٦] قائلا **" كان صاحب سيس قد اعتمدوا ما يقتضي فسخ الهدنة التي وقع الاتفاق عليها في سنة ست وستين عند إطلاق ولده ليفون ، وقطع الهدايا المقررة عليه ، وخالف الشروط في أنه لا يجدد بناء ولا يحصن قلعة ، وصار لا يطالع بخبر صحيح كما تقرر معه ، ثم لم يقتصر على ذلك إلى أن صار يلبس الأرمن السراقوجات ويخيف**

---

* إياس : ذكر " القلقشندي " في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا جـ٥ ص٣٤٨ ، أن " إياس " مدينة عظيمة على الساحل الشمالي الشرقي للبحر المتوسط.
* أذنة : بفتح أوله وثانيه بلد من الثغور الشامية قرب المصيصة . راجع الاصطخري في (المسالك و الممالك) ص٤٧ ، ويضيف " لسترنج " في كتابه " بلدان الخلافة الشرقية " أنها تقع على نهر سارس Sarus (سيحان) ص١٦٣
* المصيصة : قال الاصطخري في المسالك و الممالك ص٤٧ المصيصة مدينتان إحداهما المصيصة و الأخرى كفربيا ، على جانبي جيحان وتقع بينهما قنطرة حصينة . وقال القزويني في " اثار البلاد وأخبار العباد " ص٥٦٤ أنها مدينة بأرض الروم على ساحل جيحان ، ويقصد القزويني بأرض الروم آسيا الصغرى .

القوافل ويدعي أنهم من عسكر التتار ، فاقتضى ذلك أخذ كينوك* واخرابها كما ذكرنا ، فتصور صاحب سيس من ذلك . فذكر السلطان لرسوله سوء اعتماده ، وأرسل اليه يعرفه أنه عزم على قصد سيس، ثم أسرّ السلطان في نفسه قصده ولم يبده لأحد ، بل أظهر الحركة إلى الشام ، وعرض العساكر في يوم واحد تحت القلعة وخرج ثالث شعبان سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، ووصل إلى دمشق في سلخ الشهر ، وخرج منها في سابع شهر رمضان بجميع العساكر " .

وهنا نرى " بيبرس " لتصعيد موقفه مع صاحب " سيس " ، ولتصعيده أيضاً مع بعض القوى الأخرى ، نراه يحاول زيادة دائرة نفوذه ليتسنى له حشد كل طاقاته الممكنة ، بشرية كانت أم اقتصادية ، كل هذا بالطبع استعدادا للمواجهة الحتمية المقبلة مع المغول ، ولاشك أن استدعاء " البرواناه " له كان عاملا محفزا لذلك التصعيد ولغزوته تلك .

نعود إلى " النويري [٢٧] " في حديثه عن غزوة " سيس " ، فيذكر أن السلطان " **لما وصل إلى حماة (*) خرج الملك المنصور**

---

* **كينوك** : بلدة باسيا الصغرى جنوب البحر الأسود زارها ابن بطوطة بعد بلدة ينجا .

راجع ، رحلة ابن بطوطة : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، ص٣٢٤ .

* **حماة** : مدينة كبيرة من مدن الشام بالقرب من نهر العاص .

ياقوت : معجم البلدان ٣٣٥/٣ . مادة : حماه .

صاحب حماة بعساكره ، ثــم ســار وفــي خدمتــه العســاكر والعربــان ، فجرد الأمير شرف الدين بن مهنا ، والأمــير حســام الديــن العيــن تــابي إلى جهة البيرة (*) بصورة جاليش العســـكر المنصــور فوصلــوا إليــها ، ولما وصل السلطان إلى ســـرمين رحــل منــها إلــى جهــة الدربســاك ، وآخر الأثقال وبعض العسكر صحبة الأمــير شــمس الديــن ســنقر جــاه بسرمين ، وجرد الأمير عز الدين الأفرم أمــير جــاندار ، والأمــير مبــارز الدين الطوري لتمهيد جوانب النهر الأســود ، فقطعتــه العســاكر بمشــقة، ونزل السلطان بين الدربســـاك وبغــراس ، وأمــر جماعــة مــن مقدمــي الألوف أن يتوجه كل منهم إلـــى جهــة ، فطلعــوا تلــك الجبــال ، وأمــر الناس بوقود الشموع فقطعوا تلك الجبــال والأوعــار والمضــايق ، وكــان السلطان قد حمل ثلاثين مركبا لأجــل التعديــة ، ونــزل الســلطان داخــل باب اسكندرونة خلف الســور الــذي بنــاه الملــك هيثــوم والــد ليفــون صاحب سيس ، ثم رحل إلــى قــرب المثقــب ، وملكــت العســاكر جســر المصيصة وملكوا المصيصة ، وغلبت العساكر علــى مــا فيــها ، وقتلــوا من وجدوه بها ، وغنم الناس مالا يحصى كــثرة مــن البقــر والجــاموس والغنم وحضر إلـــى الطاعــة جماعــة كبــيرة مــن التركمــان والعربــان بمواشيهم وخيولهم ، فجهزهم السلطان إلــى البــلاد الإســلامية ، وســاق مطلبا في تاسع وعشرين شهر رمضـــان ، فوصــل إلــى ســيس ، فعــدل عنها ووصل دربند الروم ووجد بقايا من حريـــم التتــار فســبين ، وعــاد

---

* البيرة : قلعة حصينة تقع بالقرب من سميساط بين حلب والثغور الرومية .
ياقوت ، معجم البلدان ٢/٣٣٠ .

فبات في تلك الجبال ، وعيد بمدينة سيس وهي كرسي ملك الأرمن ، وبها بستان متملكها ومناظرة فانتهبت مدينة سيس وهدمت وأحرقت وتحصن أهلها بقلعتها " .

وهكذا حقق السلطان " بيبرس " بغزوته " سيس " بعض المكاسب ، فبالإضافة إلى دخولها ونهبها سقطت المصيصة في أيدي عساكره وغنموا منها الكثير والكثير ، وحضر إلى طاعته جماعة كبيرة من التركمان والعربان بمواشيهم وخيولهم ، وتم سبي عدد من نساء التتار بدربند الروم وكأن الغزوة كانت لقصد سياسي واجتماعي واقتصادي فضلا عن التعرف على طبيعة وجغرافية المنطقة .

ويواصل النويري [٢٨] حديثه عن مكاسب تلك الغزوة فيقول **"ولما فرغ من إحراق المدينة وهدم قصور التكفور ، وعادت الجاليشية بما سبوه من حريم المغول وأولادهم ، وسيقت الغنائم ، وعاد السلطان ورعت العساكر الزروع ، ووصل الأمير جمال الدين المحمدي ، والأمير عز الدين الدمياطي إلى طرسوس ووجدوا بها من الخيل والبغال مقدار ثلثمائة رأس فاستاقوها ، وتوجه الأمير مبارز الدين الطوري ، والأمير عز الدين كرجي إلى قرب البحر ، وقاتلوا جماعة من العدو ، ووجدوا مراكب في البحر فدخلوا إليها وأخذوها وقتلوا من فيها ، ووصل الأمير بدر الدين الأيدمري إلى أذنة ، ووصل الأمير سيف الدين الزيني إلى قلعة السبرزين ، وغنموا نساء وأطفالا ، وأغارت العساكر في تلك الجبال وقتلوا رجالا كثيرة . ووصل الأمير بدر الدين بيسري والأمير سيف الدين أيتمش السعدي إلى إياس ، وكان خبر العسكر قد وصل إلى من بها من الفرنج**

فنقلوا أموالهم إلى المراكب فأحرقت العساكر وقتلت جماعة كبيرة في البر والبحر ، وحضر بعد ذلك كتاب والي اسكندرونة[*] يتضمن ؛ أن العساكر لما قصدت إياس ركب جماعة منها من الفرنج والأرمن قريب ألفي نفس هاربين فغرقوا جميعهم ، وأخذ الأمير بدر الدين أمير سلاح جشارات [*] خيول " .

ويستمر النويري [٢٩] في حديثه قائلا " **وأما العسكر والعربان الذين توجهوا إلى جهة البيرة فوصلوا إلى رأس عين [*] وغنموا غنائم كثيرة ، وانهزم من كان في تلك الجهة من التتار ، وعاد**

---

* اسكندرونة : مدينة شرقي أنطاكية على ساحل بحر الشام بينها وبين بغراس أربعة فراسخ ، وبينها وبين أنطاكية ثمانية فراسخ ؛ ووجدت في بعض تواريخ الشام أن اسكندرونة بين عكا وصور .

انظر ياقوت الحموي ، المصدر السابق جـ١ مادة : إسكندرونة .

* جشارات : بكسر الجيم واحدها الجشر وهي إخراج الدواب للرعي فتبقى في مرعاها لا تئوب إلى أهلها ، والجشار : هو صاحب مربع الخيل الذي يبيت في المرعى لا يرجع إلى بيته ، والخيل المرعية مجشرة ومكان رعيها الجشار . والجشارات : الخيول والبقر التي تساق مع الجيش . راجع د/ محمد عمارة ، المرجع السابق ص١٤٩ .

* رأس عين : ويقال رأس العين والعامة تقول هكذا ، وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر ، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخا ، وقريب من ذلك بينها وبين حران ، وهي إلى دنيسر أقرب بينهما نحو عشرة فراسخ .

ياقوت ، المصدر السابق جـ٣ ، مادة : رأس عين .

العسكر سالما منصورا ، ووصل السلطان إلى المصيصة وأحرقت من الجنبين " .

ويقول النويري " **ولما تكامل حضور الامراء بالغنائم وخروج التركمان والعربان الواصلين إلى الطاعة من الدربندات ، رحل السلطان وعبر على بحيرة بها أغصان ملتفة مثل الغابة ، وبها جزائر قد تحصن بها جماعة من تلك البلاد ، ونقلوا إليها حريمهم وأموالهم ، فرمى العسكر نفوسهم فيها عوما بالخيل فقتلوا وسبوا ، ثم عبروا على تل حمدون وقلعة النقير (*) فعاثت العساكر فيها ، وخرج العسكر من الدربندات فشاهدوا الغنائم قد ملأت المروج طولا وعرضا ، فوقف السلطان بنفسه وفرق الغنائم وعم بها الناس ، وما أخذ لنفسه شيئا منها ، ثم سار بعد القسمة فنزل دهليزه بحارم (*) "**

وعندئذ قال القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر في مدح سيده

يا ملك الأرض الذي عزمه

كم عامر للكفر منه خرب

قلبت سيسا فوقها تحتها

والناس قالوا سيس لا تنقلب(٣٠)

---

* قلعة النقير : بالفتح ثم الكسر ، موضع بين هجر و البصرة . ياقوت ، نفس المصدر جـ٥ مادة النقير .

* حارم : بكسر الراء حصن حصين وكورة جليلة تجا أنطاكية ، وهي من أعمال حلب الآن . ياقوت : نفس المصدر جـ٢ مادة حارم .

وهكذا رأينا مدى التأثير السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي لحق " بسيس " وبعض البلدان المجاورة لها من جراء غزوة الظاهر بيبرس ، وكيف سيسهم هذا العمل في تصعيد الموقف ضد المغول حتى المواجهة المرتقبة بين الطرفين في آبلستين (*) ، وطبيعي لا يجب أن يعزب عن ذهننا دور " البرواناه " فيما حدث وما سيحدث.

" فالبرواناه " كما اتضح لنا شخصية متسلطة يعيش لنفسه باحثا عن المجد والسيادة ، دون أن يأبه بما سيترتب على سياسته في ضرب القوى السياسية بعضها بالبعض الآخر ، أملا أن يخلو له الجو من منافس ليحقق مزيدا من المكاسب .

والجدير بالذكر أن " البرواناه " شخصية مناورة لا يتورع عن التراجع في موقفه ، إذا استشعر خطرا قادما عليه يهدد مركزه ، ولا أدل على ذلك من تراجعه في طلب " بيبرس " عندما علم بمغادرة "آجاي" آسيا الصغرى .

لكن آمال " البرواناه " لم تتحقق ، فسرعان ما بددها " أباقا خان " ؛ إذ أنه في الوقت الذي استدعى فيه أخاه الأمير "آجاي"

---

* أبلستين : بالفتح ثم الضم و لام مضمومة أيضا والسين المهملة ساكنة وتاء فوقها نقطتان مفتوحة وياء ساكنة ونون : هي مدينة مشهورة ببلاد الروم ، وهي الان بيد المسلمين ، وسلطانها ولد قلج أرسلان السلجوقي ، قريبة من أبسس مدينة أصحاب الكهف ياقوت : المصدر السابق جـ١ ، مادة : أبلستين .

سير إلى آسيا الصغرى أميرا أخر يدعى " **توقونوين** (*) " بصحبة أربعين فارسا من خاصته مكلفا إياه بضبط النواحي المالية ، ولتحجيم " البرواناه " وتقليم أظافره طلب " أباقا خان " منه أن لا يباشر أعماله إلا في وجود الأمير " توقو نوين " ، ولكي يقلص نفوذه أكثر وأكثر طلب منه الحضور إلى بلاطه " بتبريز " وما إن وصل الأمير " توقو نوين " إلى آسيا الصغرى حتى لاقى ترحيبا من جميع الأمراء هناك فيما عدا بالطبع " البرواناه " الذي أعرض عنه ونأى[٣١].

ومن تلك السطور القليلة نستشف أن " أباقا خان " كان على علم بما يدور حوله من مناورات " البرواناه " السياسية ، التي ستؤدي بالفعل إلى توتر متصاعد تعقبه مواجهة عسكرية بين قواته وبين قوات

---

* **توقو نوين** : نوين كلمة فارسية معناها " أمير " ذكر ذلك د/ محمد موسى هنداوي في (المعجم في اللغة الفارسية) ص٤٤٦ ، وعلى ذلك يكون معنى توقو نوين (الأمير توقو) .

وقد اختلف المؤرخون حول كتابة الاسم ؛ فالهمذاني في كتابه (جامع التواريخ) المجلد الثاني ٦٢/٢ أورده باسم (توقو نوين) ، بينما كلا من ابن أبي الفضائل في (النهج السديد) ص٢٢٧ ، وابن أيبك في (الدرة الذكية) ص١٧٨ ذكراه باسم (بقو نوين) ، وجاء في (عيون التواريخ) لابن شاكر (مخطوط) ورقة ٤٩ باسم (أبتاي نوين) ، أما أبو الفدا في (المختصر) ٩/٤ فذكره باسم (تتاون) ، وأورده ابن الفرات في تاريخه ٤١/٧ باسم (ابتاي) .

وقد أخذنا برواية الهمذاني لأنه أقدم هؤلاء المؤرخين من ناحية ، ومن ناحية أخرى فهو متخصص في تاريخ المغول .

المماليك والتي كانت لها اليد الطولى على الإيلخانيين من قبل في معركة عين جالوت (*) ، لذلك انتوى " آباقا خان " التخلص من " البرواناه " ، ويعد إرساله الأمير " توقو نوين " بداية لتنفيذ ما اعتزمه.

وعلى صعيد آخر ولكي يحقق " البرواناه " بعض المكاسب السياسية ، قام بعقد سلسلة من العلاقات الاجتماعية ؛ ففي عام ١٢٦٧م حاول الزواج من ابنة " **هيثوم** " ملك الأرمن ليكسبه سياسيا أو يحيده على الأقل .

وفي هذا الصدد يقول ابن العبري [٣٢] " **وفي تلك الغضون اشتهى بروانة المتولي تدبير مملكة بلد الروم أن يصاهر الملك هيثوم ويطلب ابنته ، ففاوض الراهب فرسيغ الأرمني مندوب الملك لدى التتر ، وهذا الجاهل أشار عليه بأنه متى مر هيثوم ببلدك فاذهب إلى زيارته وأعرض عليه طلبك فلن يردك خائبا ، ولما عاد الملك من الأردو ووصل إلى فندق القراطي وبات فيه ليلته قصده بروانة في زعماء دولته وقدم له هدايا ثمينة جدا وطلب ابنته ، فخاف الملك وظن أنه إن رفض طلبه يترصده في الطريق ويؤذيه فوعده بذلك وعاد إلى بلده وظل بروانة يراجعه حتى قال له الملك لا يمكن أن**

---

* **عين جالوت** : عين الجالوت اسم أعجمي لا ينصرف : وهي بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين كان الروم قد استولوا عليها مدة ثم استنقذها منهم صلاح الدين الأيوبي عام ٥٧٩هـ .

ياقوت . المصدر السابق جـ٤ مادة عين الجالوت .

نضع العرس مادام أخو البنت مأسورا فاصطبر بروانه حتى عاد الأخ إلى بيته وزال المانع ، غير أن الابنة توفيت وهلك فرسيغ الراهب كذلك " .

وهكذا رأينا كيف حاول " البروانـاه " كسب ود ولاء ملك الأرمن عن طريق المصاهرة ، لكن الظروف لم تحقق له ما أراد ؛ إذ توفيت ابنة الملك – الذي وضح تبرمه – قبل أن تتخذ أية خطوات إيجابية في هذا الموضوع .

وهنا حاق " بالبروانـاه " انتكاسة في مسعاه ، لكن عام ١٢٧٢م حمل إليه بارقة أمل ، عندما وافق في هذا العام " لاون بن هيثوم " ملك الأرمن الجديد على زفاف ابنته إلى " البروانـاه " ، وربما كان ذلك تعويضا عن عدم زواج أخته من " البروانـاه " حسب رغبة والده ، وقد أثمر هذا الزواج عقد صلح وهمي (٣٣) .

ومما يجدر ذكره أن القصد السياسي من هذا الزواج لم يكن خافيا ؛ فلاون بن هيثوم ربما أراد من ورائه اتقاء شر " البروانـاه " ومعاونيه ، ليتفرغ إلى مشاغل أخرى ، و" البروانـاه " ربما قصد ولو على الأقل تحييد ملك الأرمن ليخلو لأعماله وآماله .

لكن الأهم من ذلك والذي تجدر الإشارة إليه أن " البروانـاه " قد خطا في علاقاته الاجتماعية السياسية خطوة أكثر جرأة عن ذي قبل ؛ حين أخذ ابنة السلطان (ركن الدين قليج أرسلان الرابع) سلطان السلاجقة بآسيا الصغرى مقدما إياها إلى " آباقا خان " زعيم الإيلخانيين ، وبالطبع كان ذلك لكسب وده وصرفه عن مناوراته .

يقول ابن العبري [٣٤] : أن " البروناه " " **خاف أن يظن المغول بأنه محالف للمصريين فاخذ ابنة السلطان ركن الدين ومضى بها إلى خدمة ملك الملوك وقال له : بلغني أن المصري مستعد ليأتي ويخطفها ولهذا بادرت فاحضرتها فشكره التتر على ذلك** " .

وفي رأينا أن " البرواناه " قصد بهذا العمل مقصدان الأول : تصعيد الموقف بين المماليك والمغول لحدوث مواجهة حتى لا تقع بلاد سلاجقة آسيا الصغرى – منطقة نفوذ " البرواناه " – فريسة في أيدي المماليك ، والثاني : إظهار الولاء المريب للمغول حتى يتركوه يمارس نشاطه في مناطق نفوذه إذا ما نجت بلاده من ويلات الحرب الماثلة في الأفق .

فالمقصد الحقيقي إذن لم يكن علاقة ودية من جانب "البرواناه" مع المغول بقدر ما كان ينطوي على مقصد سياسي ، وربما يحقق من ورائه كسبا ذاتيا .

وسوف تكشف الصفحات المقبلة التالية فكر " البرواناه " ، وتوضح فلسفته في أنه كان يعيش لنفسه دون أدنى تقدير منه لدهاء التاريخ .

الفصل الثاني

البرواناه

بين الصراع الدولي وأفول نجمه

أتى عام ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م لينذر بحدثين مهمين ؛ أولهما : التوتر العسكري الذي لاح في الأفق بين المماليك والإيلخانيين حول قلعة البيرة – الواقعة على الضفة الشرقية لنهر الفرات – والآخر : هو بداية أفول نجم " البرواناه " الذي ظل يسطع على مسرح الأحداث بآسيا الصغرى حوالي خمسة عشر عاما .

ولإجلاء ذلك نقول : في عام ٦٧٤هـ أصدر " آباقا خان " (٦٦٣ – ٦٨٠هـ / ١٢٦٥ – ١٢٨٢م) زعيم الإيلخانيين بفارس ، أوامره لقواته المتمركزة بآسيا الصغرى ولبعض حلفائه ، بالتحرك لمحاصرة قلعة " البيرة " التي كانت من أملاك الأيوبين من قبل ثم آلت إلى سلطة المماليك ، فتحركت القوات عندئذ تجاهها في عدة جيوش ؛ جيش للإيلخانيين بقيادة " **نابشي** " و" **إبتاي** " وثان لسلاجقة آسيا الوسطى بقيادة " **البرواناه** " ، وثالث ضم قوات من ماردين وميافارقين بقيادة " **شرف الدين اللاوي** " ، وفور وصول تلك القوات نصبت مجانيقها على القلعة واشتدت في حصارها لبعض الوقت (٣٥) .

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ، أن التوتر العسكري بين المماليك والإيلخانيين لم يكن قد ولد لتوه حول قلعة " البيرة " ، وإنما هو سابق لذلك التاريخ ، تحفزه المصالح والأهداف ، وتعود جذوره إلى موقعة عين جالوت عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م التي هزم فيها المغول هزيمة نكراء على يد المماليك بقيادة " **قطز** " و" **بيبرس** " ، وراح "**كتبغا**" قائد المغول نفسه ضحية لها .

وبالطبع كان من شأن هذا الانتصار على رواية " **مويـر** " أن **يشجع أهالي سورية ودمشق في الانتقاض على المغول هناك ، وكذلك**

على اليهود والنصارى الذين انشقوا على المسلمين حينذاك ، مما حدا بجيوش المماليك أن تواصل قتالها ضد المغول ، ولم تبرح مكانها إلا بعد طردهم من سورية إلى مدينة الرها (*) (٣٦) .

يستفاد من هذه السطور أن التوتر العسكري والصراع الحربي، بين المماليك والمغول كان ماثلا في الأفق ، يظهر أحيانا ويخبو أحيانا أخرى حسب الأوضاع المحلية والدولية ، واتفاق المصالح واختلاف الأهداف .

وفي هذا الشأن يحدثنا " **النويري** (٣٧) " فيذكران عام ٦٥٩هـ شهد تجددا للتوتر بين هاتين القوتين ، وذلك حول مدينة " **حلب** " انتهى بإرسال " الظاهر بيبرس " لبعض قواته إذا جرد في العشر الأول من شهر ربيع الأول كل من الأمراء : **فخر الدين الطنبا الحمصي ، وحسام الدين لاجين الجوكاندار** (*) ، **وحسام الدين العين تابي** ، في عسكر لدفع التتار عن مدينة حلب ، وما أن وصلت تلك

---

* الرها : بضم أوله ، والمد ، والقصر : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ ، سميت باسم الذي استحدثها ، وهو الرهاء بن البلندي بن مالك ابن دعر .

ياقوت الحموي : المصدر السابق جـ٣ مادة الرهاء ص١٠٦ .

* الجوكاندار : هو الذي يحمل الجوكان ، وهي عصا مدهونة طولها حوالي أربعة أذرع، وبرأسها خشبة مخروطة محدوبة طولها أكثر من نصف ذراع ، وربما كان ذلك رمزا لمرافقته للسلطان في تمرينه على الفروسية ، والاشتراك معه في اللعب على الخيل بالصولجان .

الباشا (حسن) ، **الألعاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار** ، ص١١١ هامش ٣ .

القوات إلى غزة حتى أرسل فرنج عكا إلى " التتار " بخبرهم ، فرجعوا وفارقوا المدينة .

ويلقي " **موير** " ظلالا على هذا التوتر ، ويصور شعور " بيبرس " تجاه المغول قائلا : في عام **٦٦٢هـ / ١٢٦٣م " كان الظاهر بيبرس على خوف ووجل شديدين من المغول الذين كانت لهم دولة تمتد من نهر جيحون إلى المحيط الهندي رئيسها أبغا ، فدعاه ذلك إلى مصافاة بيرخ صاحب قفجاق عدو أبغا ، وإلى مصادقة القيصر الذي كان قد أخذ يفيق من أضرار الحرب الصليبية السادسة ومن المصائب العظيمة التي أنزلتها البابوية بالقسطنطينية** " (٣٨) .

وهنا يلاحظ " موير " أن " بيبرس " حاول اصطناع أصدقاء له ربما يساعدوه في صراعه التقليدي مع المغول ، أو على الأقل يضمن حيادهم ، ويتمادى " بيبرس " في هذا الاتجاه فيراسل بعض البلدان والمدن كأسبانيا ، وسلاجقة آسيا الصغرى ، ونابلي ، بل كان مستعدا لمراسلة أي جهة يمكن أن يجد فيها سندا له على أعدائه (٣٩) .

وعلى صعيد آخر ينقلنا النويري (٤٠) إلى بلدة " سيس (*) "قاعدة أرمينية حيث تجدد التوتر التقليدي بين المماليك والمغول بطريقة غير

---

* **سيس** : قال " ياقوت " هي سيسية ، وعامة الناس يقولون سيس ، وهي بلد من أعظم الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربى وبها مسكن ابن ليون سلطان تلك الناحية الأرمني .المصدر السابق ٢٩٧/٣ ٢٩٨مادة سيسة .

وقال عنها لسترنج أنها مدينة فيلافيو بولس القديمة ، وهي من بلاد أرمينية الصغرى . المرجع السابق ص١٧٣ .

مباشرة فيقول " وفي سنة اثنين وستين وستمائة ، وصل " **هيثوم بن قطسنطين** " متملك الأرمن من جهة " **هولاكو** " ، وتوجه قبل دخوله إلى بلاده إلى السلطان " **ركن الدين** " صاحب الروم ، فعزم صاحب الروم على الإيقاع به على غرة ، ثم ينسب ذلك إلى التركمان ، فشعر هيثوم بذلك ، وكان قد استصحب معه قاضي بلاد " هولاكو " ليصلح بينه وبين صاحب الروم ، وأعطاه عطاء كثيرا واستماله ، فقال له هيثوم : لا أقدر على دخول بلاد الروم حتى تحضر جماعة من التتار يخفرونني ، فكتب القاضي إلى التتار الذين بالروم ، فحضر منهم أربعمائة فارس ، فتوجه بهم إلى السلطان ركن الدين ، فخرج إليه وتلقاه مترجلا لأجل القاضي ، والأرمني لم يترجل ، وقدم كل منهما للآخر تقدمة ... ثم جاءوا جميعهم إلى هرقلة (*) وتحالفا واتفقا " .

ويفهم من كلمات النويري هذه عدة أمور ؛ منها : أن هيثوم ملك الأرمن كان على ولاء مع المغول – وبذلك تمثل بلاده بالنسبة لهم عمقا استراتيجيا – وأن هناك عداء بينه وبين سلطان سلاجقة آسيا الصغرى بدليل نية الثاني في محاولة الغدر بالأول ونسب ذلك إلى التركمان ، وبدليل توسط قاضي هولاكو للصلح بينهما .

---

* هرقلة : بالكسر ثم الفتح : مدينة ببلاد الروم سميت بهرقلة بنت الروم بن اليغز بن سلم بن نوح عليه السلام ، وهرقلة Heracleia مدينة إغريقية قديمة باسيا الصغرى تعرف الآن باسم Eregli وتقع على الساحل الشمالي لآسيا الصغرى .

راجع : الحموي (ياقوت) المصدر السابق ٥/٣٩٨ – ٣٩٩ مادة هرقلة

Encyclopedia Americana, Vol. Xiv, Art, Heracleia

كما يفهم على نحو آخر خلخلـة النسـيج الداخلـي لبـلاد سـلاجقة آسيا الصغرى – منطقة نفوذ " البرواناه " – بدليل تقـدم أربعمائـة فـارس من التتار بها لحماية " هيثـوم " ، لكـن فـي النهايـة اجتمـع الأضـداد ، واتفقـت كلمتـهم بحكـم المصلحـة طبعـا ضـد المسـلمين ، فـالمغول والأرمن لا يخفى شـعورهم تجـاه البـلاد الإسـلامية ، وسـلاجقة آسـيا الصغرى يقعون تحت تأثير المغول وتـأثير مصلحتـهم .

يقول النويري [٤١] " **واهتم هيثـوم بجمـع العسـاكر لقصـد البـلاد الإسلامية ، وكان في عسكره من بني كلاب ألـف فـارس ، فقصـد عيـن تاب ، وكان السلطان قد اطلع علـى هـذا الأمـر لاهتمامـه بالاسـتطلاع على الأخبار ، فسير إلى عسكر حماه ، وعسـكر حمـص بالتوجـه إلـى حلب ، فتوجهوا وتوجه جماعة من العسـكر المصـري ، فأغـاروا علـى الأرمن ، واسر أمير من أمـراء هيثـوم ، وأخـذ لـه مائـة جمـل مـن البخاتي [*] فولـوا منـهزمين ، وقتـل منـهم جماعـة وجـرح صـاحب حموص قرابة هيثوم الملك جراحـة شـديدة** " .

وهكذا دار الصـراع بيـن الممـاليك والإيلخـانيين بطريقـة غـير مباشرة ، حيث كان بينهم وبين أعوان المغـول ، وإن ظـهر فـي النـص

---

* **البخاتي** : بفتح الباء ، والمفرد بخت ، وبختي ، بضم الباء وسكون الخاء . وهي الإبـل الخراسانية ، الضخمة طويلة الأعناق ذات السنامين ، والوبر الأسـود ، وموطنها الأصلي بلاد الترك في أواسط اسـيا . عمـارة (محمـد) ، المرجع السابق ص٨٢ .

شيئ جديد وهو إشراك عناصر عربيـــة فـــي الصـــراع ، لكـــن المصلحـــة بالتأكيد كانت وراء ذلـــك .

لم يقتنع " هيثوم " ملك الأرمن بهذه الهزيمة ، وإنمـــا طلـــب نجـــدة الإيلخانيين بآسيا الصغـــرى ، وكـــان عددهـــم ســـبعمائة " **فحضـــروا إليـــه لقصد الشام ، فلما وصلوا إلى مرج حارم وقعـــت ثلـــوج شـــديدة ، وكـــان الأرمني قد كتب إلى أنطاكية يطلب نجدة ، فـــأنجد منـــها بمائـــة وخمســـين فارسا ، ولبسوا كلهم السراقوجات (*) تشـــبها بالتتـــار ، واجتمعـــوا كلـــهم بالقرب من مرج حارم ، فكادوا يهلكون مـــن كـــثرة الثلـــوج والأمطـــار ، وخرج العسكر المنصور لقصدهـــم ، وانقطعـــت عنـــهم المـــيرة فتـــأخروا راجعين ، فعدم من أصحاب الأرمني مائـــة وعشـــرون فارســـا ، وثلاثـــون تتريا ، وستة من خيالة أنطاكية وجماعـــة مـــن رجالتـــهم** " (٤٢) .

وهنا أصبح الصراع مباشرا ؛ حيـــث اشـــترك عـــدد مـــن مغـــول آسيا الصغرى فيه حتى من تم استعانة هيثـــوم بـــهم مـــن أنطاكيـــة تزيّـــوا بما يشبه زي المغـــول .

يواصل هيثوم تحديـــه ، ويجمـــع العســـاكر ، ولكـــي يمعـــن فـــي اعترافه بمظلة المغول يفصل " ألف قباء تتري ، وألـــف ســـراقوج ألبســـها أصحابه ليوهم أنهم نجدة من التتار " وعندئذ جرد الســـلطان عســـكرا مـــن دمشق إلى حمص ، وجماعة من حمـــاة ، وتوجـــه الأمـــير **حســـام الديـــن**

---

* **السراقوجات** : جمع سراقوج وهي نوع من الثياب اشتهر به المغول .

راجع هامش ٢ ص٢٦١ من كتاب " نهاية الأرب " للنويري جـ٣٠ .

العين تابي فأغار على مرزبان " بأرمينية الصغرى " وقتل وأسر وعاد سالما " [٤٣] .

ولقد توالت الغارات من جميع الجهات فتفرق جمع " هيثوم " ، واتجه العسكر الإسلامي إلى انطاكية ، فغنم وقتل وأسر .

وهكذا دارت الدائرة على " هيثوم " ، الذي تعد هزيمته وحزبه هزيمة للمغول كإحدى حلقات الصراع المتجدد بينهم وبين المماليك .

ويشير **موير** [٤٤] إلى هذا الصراع فيذكر أن عام ١٢٦٣م شهد بدء توتر في العلاقة بين بيبرس وهيثوم ، لأن الأخير تعاون في هجوم مع سلاجقة أسيا الصغرى ومغولها على بعض المدن السورية ، مما دفع بيبرس إلى إرسال قواته لمهاجمة هذا التجمع الذي اضطر إلى التراجع .

لم ينته الموقف عند هذا الحد ، بل اعتزم " بيبرس " أن يقتص من " هيثوم " ، ففي عام ٦٦٤هـ جهز الملك المنصور صاحب حماة، وسير معه كلا من الأمير : **عز الدين إيغان ، وسيف الدين قلاون** ، فوصلوا الدربساك في الخامس من ذي القعدة ، ودخلوا الدربند (*) ، وكان هيثوم بن قسطنطين وقتذاك قد ملك ابنه " ليفون " ، منقطعا هو

---

* **الدربند** : كلمة فارسية بمعنى مضيق أو باب أو سد . ويفهم من هذا أنها رعوس سرات . كان قد حصنها السلطان علاء الدين كيقباد الأول بآسيا الصغرى .

راجع : البستاني في : محيط المحيط ٦٣٧/١ مادة دربند ، وهنداوي (محمد موسى) في المرجع السابق ص١٩٨ مادة دربند .

إلى الترهب ، فتوهم الملك الجديد عــدم مقـدرة المسـلمين علــى ارتقــاء الجبال ؛ لبنائه أبراجا فوق رءوسها ، لكنها كانت كمـــا قـــال الشــعر :

وإن يبن حيطانا عليــه فانمــا

أولئك عقالاته لا معاقلـــه(٤٥)

ولا أدل على ذلك من ارتقـــاء جيــوش " بيــبرس " رءوس الجبـــال في سهولة ويسر ، واصطدامها بقوات " ليفون " الــذي وقــع فــي أســرها فضلا عن قتل أخيه وعمه ، وانهزام عم آخر لـــه يدعـــى " **كنــدا ســطبل** " وأسر ولده ، بالإضافة إلى قتل عدد مـــن رجالـــه الأشـــداء ، وقــد قــامت جيوش " بيبرس " آنذاك بتمشيط المنطقة فأسروا وقتلـــوا وأحرقــوا بعــض المدن ، حتى وصلوا قرب قلعة للداويـــة تعــرف بــالعمودين ، فاستســلمت بمن فيها ، واتجهوا بعد ذلك إلـــى " ســيس " ، فأخربوهـــا ، ولقــد توقــف بها الملك المنصور صاحب حماه ، بينما توجه الأمـــير عـــز الديـــن ايغـــان إلى بلاد الروم (منطقة نفــوذ " البروانـــاه ") أمـــا الأمـــير ســيف الديــن قلاون فكانت وجهته إلى المصيصة وأذنـــة وإيــاس وطرســوس ، فقتلــوا وأسروا وأحرقوا وهدمت قلعة ارخى للداوية تعــرف بالبنيــة ، ثــم عـــادت العساكر إلى سيس بعد أن غنمت غنـــائم كثــيرة ، حتـــى بيـــع رأس البقـــر بدرهمين ، ولم يجد من يشـــتريه (٤٦) .

ويعلل " سوير " (٤٧) هزيمة ملـــك أرمينيـــا وقتـــذاك ، بعـــدم تلقيـــه مددا من المغول ، وسواء صح هذا التعليـــل أم لـــم يصـــح ، فـــإن هزيمـــة ملك الأرمن تعد ضربة موجهة إلـــى المغــول ، كمـــا أنـــها أحــدث اثـــارا على منطقة نفوذ " البروانـــاه " .

نعود إلى ما صدرنا به هذا الفصل من صراع بين المماليك والإيلخانيين حول قلعة البيرة ، لما له من توابع وآثار على المنطقة .

فنرى السلطان " بيبرس " عام ٦٦٣هـ يقصد جهة العباسة (*) للصيد ورمي البندق ، وهناك وافته الأخبار عن تجمع التتار ومنازلتهم البيرة ، وعلى الفور أصدر أمره للأمير بدر الدين الخزندار بالتوجه على رأس قواته إلى القلعة ، وأوصاه عند وصوله بتجريد أربعة آلاف من العسكر الخفيف لسهولة التحرك ، ثم عاد هو إلى القلعة لتعبئة قواته ، وقد تمثل ذلك في تجهيز الأمير عز الدين إيغان على رأس عدد من القوات برفقته الأمير فخر الدين الحمصي ، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمري ، والأمير علاء الدين كشتغدي الشمسي ، وجماعة من الأمراء والحلقة (*) (٤٨) .

وفي الرابع عشر من ربيع الأول ، توجهت هذه القوات صوب القلعة المذكورة ، وأردفها السلطان بعد أربعة أيام بأربعة آلاف فارس

---

* العباسة : قال ياقوت : بفتح أوله وتشديد ثانيه ، وبعد الألف سين مهملة ، وهي بليدة أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية ذات نخل طوال ، وقد عمرت في أيامنا لكون الملك الكامل بن العادل بن أيوب جعلها من متنزهاته ، ويكثر الخروج إليها للصيد لأن إلى جانبها مما يلي البرية مستنقع ماء يأوي إليه طير كثير فهو يخرج للصيد ، وبينها وبين القاهرة خمسة عشر فرسخا ، وسميت بعباسة بنت أحمد بن طولون . المصدر السابق ٧٥/٤ مادة العباسة .

* الحلقة : طائفة من الطوائف الممتازة من الأجناد . راجع : المقريزي . السلوك لمعرفة دول الملوك ٥١٩/١ .

يتقدمهم الأمير جمال الدين أيدغري الحاجبي ، ولم يكتف بيبرس بذلك، بل خرج بنفسه في ربيع الآخرة لمتابعة قواته ورفع معنوياتها ، وعندما وصل إلى غزة في العشرين من الشهر المذكور وافته الأخبار أن العدو نصب سبعة عشر منجنيقا على البيرة ، فاستعجل الأمير عز الدين إيغان على سرعة التوجه قائلا له : متى لم تدركوا هذه القلعة ؟ وإلا سقت إليها بنفسي جريدة ، فجد إيغان بمن معه في المسير .

وفي العشرين من نفس الشهر ورد البريد من جهة الأمير جمال الدين النجي نائب السلطنة بالشام ، ومعه بطاقة (*) من الملك المنصور صاحب حماة ، فحواها : أنه ما إن وصل بقواته صحبة الأمير إيغان إلى قلعة " البيرة " حتى هرب التتار موليين الأدبار من هول ما رأوا فرموا مجانيقهم وغرقوا مراكبهم ، وانهزموا لا يلوي أحد منهم على أحد (٤٩) .

ويشير النويري (٥٠) أيضا إلى لوحة تعبيرية صور فيها الأمير (جمال الدين أقوش المغيثي) النائب بالبيرة حال القلعة ، ودور أهلها من رجال ونساء في درء خطر المغول قائلا " لما كثر العدو على القلعة ، وطم الخندق حفر أهل البيرة حفيرا قدر قامة ، وعملوا منه سردابا نافذا إلى الأحطاب التي كان العدو رماها في الخندق ، فأضرموا فيها النار فاحترقت جميعها ، ثم سد المسلمون السرب المحفور " .

---

* **بطاقة** : البطاقة نوع خاص من الأوامر الديونية . راجع المقريزي ، المصدر السابق نفس الجزء ص٢٨٢ حاشية ٢ .

كما أشار إلى صبر وثبات أهـــل الثغــر حتـــى أن نســـاءهم فعلـــن من حيث البلاء في الوقفة ضد الأعداء مـــا لـــم يفعلـــه الرجـــال ، ويشـــير أيضا إلى كفاءة أحد الأبراج ذاكرا أن برجا واحدا كـــان قـــد نصـــب عليـــه خمسة عشر منجنيقا ، ونجح هذا البرج في الثبـــات لمـــدة شـــهرين .

وبناء على هذه اللوحة التصويرية التى أرســـلها نـــائب البـــيرة فـــي كتابه إلى " بيبرس " ، رد الأخير على ذلك بإطابـــة قلـــوب أهـــل الثغـــر ، وتعيين الأمثلة (*) بالإقطاعات لمن جـــاهد مـــن البحريـــة وغـــيرهم ، كمـــا كافأ الشهداء لبلائهم الحسن ، وعلى سبيل المثـــال استشـــهد رجـــل يدعـــى "صارم الدين بكتاش الزاهري " بحجر منجنيق ، وكانت لـــــه بنتـــا واحـــدة، وقد ترك هذا الرجل ميراثـــا كبـــيرا ، فلـــم يتـــورع " بيـــبرس " أن أمـــر لابنته بهذا الميراث . إضافة إلى ذلك اعتنى بـــــأمر هـــذه القلعـــة ، فكتـــب إلى جميع القلاع والولايات بحمل ما يحتاجه الثغـــــر مـــن أمـــوال وغـــلال وأسلحة وعتاد لمدة عشر ســـنين .

وهنا نلاحظ الســـــلطان يحـــاول ضمـــان كفايـــة هـــذا الثغـــر مـــن المؤونة لفترة من الزمن ، تعويضا له عن الضرر الـــذي لحـــق بـــه حتـــى يستعيد بنيته مرة ثانيـــة .

---

* **الأمثِلة** : المثال هو أول سلسلة الأوامر الديوانية الخاصة بمنح الإقطـــاع واخـــر هـــذه السلسلة المنشور ، راجع المقريزي ، المصدر السابق والجـــزء ص٩٠: حاشية ٣ .

ومراعاة من السلطان لتخفيف الأعباء عن أهل البيرة ، أمر الملك المنصور صاحب حماة ورجاله أن لا يبرحوا موقعهم بالبيرة حتى ينظفوا خندقها مما كان فيه من الحجارة فامتثلوا لأمره ، وتلك دلالة على مدى رعايته للقلعة حتى تمارس حياتها الطبيعية دون تعثر .

وامعانا في الاحتفاء بأهل القلعة وتقديرا لجهودهم في قتال المغول ، كتب السلطان إلى الأمير عز الدين إيغان باحضار أهل القلعة على اختلاف طبقاتهم من الأمراء ، والجند ، والعوام ، وأن يخلع عليهم وينفق فيهم الأموال حتى الحراس والضوية (*) .

وهنا نلاحظ أن تصعيد الموقف قد تم ، وأن القوات قد عبئت بالفعل لتبدأ تحركها ، لكن المواجهة تأجلت لبعض الوقت .

ويأتي عام ٦٧١هـ ليعلن عن تجدد الصراع ثانية حول هذه القلعة بين المماليك والإيلخانيين إذ وردت الأخبار لسلطان مصر بحركة الإيلخانيين تجاهها ، وعندئذ جرد السلطان أميره **فخر الدين الحمصي** على راس قوات مشتركة من المصريين والشاميين إلى جهة حارم ، ثم جهز الأمير علاء الدين الحاج الطيبرسي الوزيري بجماعة من العسكر ، وأخرى من العربان للحاق بها ، وعلى صعيد اخر اتجه التتار الى البر الشامي قاصدين الرحبة[٥١] .

---

* **الضوية** : هم المكلفون بالاضاءة ليلا . راجع المقريزي ، المصدر السابق والجزء ص٥٢٥ .

وإزاء هذا التصعيد رحـــل بيـبرس سـلطان مصــر مــن ظــاهر دمشق في طريقه لملاقاة عدوه ، فنما إليه خـــبر رحيــل الإيلخـــانيين عــن الرحبة ، لكنه اعتزم مواصلة سيره ، وجـدّ فــي الطريــق حتــى وصــل شط نهر الفرات عند مخاضة عرفت بالحمـــام ، فوجـد الإيلخـــانيين علـــى شط النهر عددهم يقترب مـــن الخمســة آلاف فـــارس يتقدمــهم " جنقــر " أحد قوادهـــم الكبـــار ، وقـــد تواجـــدوا علـــى رأس المخاضـــة ، بيـــد أن السلطان قد اصطحب معه من دمشـــق وحمـــص عـــدة مراكـــب ، فرســـت في الفرات ليركبها رجاله الأقجية . وعندئذ فكر الإيلخــــانيون فـــي موقـــف مخادع ، إذ ابتعدوا عن المخاضـــة الســـهلة إلـــى مكـــان بعيـــد الغـــور أي (عميق) ، واعتقد رجال السلطان أن المكـــان الـــذي حرســـه الإيلخـــانيون هو المخاضة فنزلوا فيها ، لكنـــهم نجحـــوا فـــي ضـــرب هـــذه الخدعـــة ، وعاموا في المياه ، الفارس إلى جوار أخيه متماســـكين بالأعنـــة معتمديـــن على الرماح فقال قـــائل :

فعمنا إليهم بـــالحديد ســـباحة

ومن عجب أن الحديد يعـــوم

وما إن وصلت عساكر السلطان بقيادته حتـــى انـــهزم الإيلخـــانيون وقتل " جنقر " مقدمهم مع عدد من القوات ، كما أســـرت أعـــداد أخـــرى ، وبقي السلطان هنـــاك حتـــى صـــلاة العصـــر ليجمـــع الأســـرى ورءوس القتلى ، ثم قضى الليل في موقـــع المعركـــة [٦٢] .

عاد السلطان بعد ذلك إلى البر الشـــامي إثـــر هزيمـــة الإيلخـــانيين **وهربهم متجها إلى البيرة عبر جسر كـــان أعـــداؤه قـــد مـــدوه ، يصحبـــه**

جماعة من الأمراء ، فانعم على نائبها بألف دينار ، وبنفس المبلغ على الأمير " سيف الدين الصروي " كما عم من بها بالتشاريف مهديا أهل الثغر مائة ألف درهم عاد بعدها إلى دمشق [٥٣] .

وفي عام ٦٧٤هـ عاد التوتر بشكل متصاعد بين المماليك والإيلخانيين حول قلعة البيرة ، فاتجهت نحوها كما أشرنا قوات متعددة ، ومن هنا اصبح " البرواناه " في موقف دقيق لا يحسد عليه ، فحاول وقتذاك استعادة نشاطه السياسي كمحاولة منه للخروج من الأزمة ، وكانت تلك المحاولة على حساب الضدين " بيبرس " و " اباقا خان " (أبغا) ؛ إذ عمد إلى الإيقاع بينهما ؛ فما أن وصلت قواته إلى قلعة " البيرة " حتى أرسل جماعة من فرسانه إلى " بيبرس " لإحاطته علما بالموقف ، حاثا إياه على التقدم نحو القلعة . وبالتالي تقع الجيوش الإيلخانية بين شقي رحى ، فيهاجمها هو من الخلف في الوقت الذي يواجهها " بيبرس بقواته من الأمام [٥٤] .

ولتنفيذ تلك المحاولة عبرت جماعة " البرواناه " نهر الفرات في طريقها لأداء مهمتها ، فالتقت أثناء ذلك بثلاثة رسل من قبل "بيبرس" كانت في طريقها " للبرواناه " ومعهم كتاب يقول نصه " **إنا وقفنا على ما كتبت به إلينا ، وها نحن على إثر رسلك فكن على أهبة ما عزمت عليه من اجتماع الكلمة على العدو المخذول**"[٥٥]

ويؤكد النويري [٥٦] على قدوم رسل " البرواناه " في العام المذكور حيث قال " **وفي هذه السنة وصلت رسل بروانة وأخبر بقصد التتار " البيرة " ، وقال إنه اتفق هو وجماعته على أن**

العساكر إذا أقبلت من بر الشـــام وشـــاهدوا الصنـــاجق الســلطانية يضـــع السيف في التتار فلم يف بذلـــك " .

ويؤكد النص محاولـــة " البروانـــاه " الإيقـــاع بيـــن " بيـــبرس " ، و "أباقا خان " ، وفي نفس الوقت يكشف عدم الثقة فـــي كـــلام " البروانـــاه ".

ومن جهة أخرى اختلف المؤرخون حـــول الجماعـــة التـــي أرســلها " البروناه " " لبيبرس " والبالغ عددهـــا فـــي بعـــض الروايـــات اربعمائـــة فارس ، فالعيني [٥٧] ،وابـــن بـــهادر[٥٨] ، وابـــن الفـــرات [٥٩] مـــالوا إلـــى القول بأن تلك الجماعة أوفدت من قبل قـــادة الإيلخـــانيين بآســـيا الصغـــرى " ابتاي ونابشي ونويـــن " .

بينمـــا يـــرى كـــل مـــن اليونينـــي [٦٠] ، وابـــــن شـــاكر [٦١] ، والنويري[٦٢] أن " البروناه " هو الذي أوفد تلـــك الجماعـــة .

من خلال قراءة النصوص ومتابعـــة الأحـــداث نميـــل إلـــى الأخـــذ بالرأي الأخير ؛ لأن هؤلاء الفرسان لو كانوا مـــن جهـــة قـــادة الإيلخـــانيين لنشب القتال بينهم وبين طلائع قوات " بيبرس " التي كـــانت فـــي طريقـــها إلى قلعة " البيرة " ، لاسيما وأن التوتر هو ســـمة العلاقـــة بيـــن الطرفيـــن هذا من ناحيـــة .

ومن ناحية أخرى فإن قادة الإيلخـــانيين كـــانوا فـــي حاجـــة ماســـة لجهود تلك الجماعة مـــن الفرســـان فـــي حصـــارهم " للبـــيرة " ، أو لغـــد ينتظر حربا متوقعـــة .

وربما كان منشؤ الخطأ فـــي هـــذا الســـياق ؛ أن هـــؤلاء الفرســـان أثناء سيرهم قبضوا علـــى رســـل الظـــاهر " بيـــبرس " اليـــن كـــانوا فـــي

طريقهم " للبرواناه " ، وأرسلوهم بكتبهم إلى " أبتاي " قائد الإيلخانيين المحاصرين للبيرة ، ويمكن أن يكون هذا العمل بإيحاء من "البرواناه"(٦٣) .

وما أن تحقق " أبتاي " من شأنهم ومقصدهم إلا واعتزم التخلص من جيش سلاجقة آسيا الصغرى المشارك في حصار " البيرة " بقيادة " البرواناه " ، لكنه تمهل بعض الشيئ ليختبر موقف "البرواناه" فأرسل إليه الرسل الثلاثة ليرى فيهم رأيه ، لكن " البرواناه " كان حريصا فأنكر معرفتهم أو معرفة أمرهم ، قائلا : إن هذا الأمر يعد مكيدة من سلطان مصر ، لينفي أي شك يوجه له (٦٤) .

ويبدو أن " أبتاي " وبعض رفاقه كانوا قد اقتنعوا برأي "البرواناه" حينذاك ، إذ فوضوا إليه التصرف في أمر هؤلاء الرسل الثلاثة ، وعلى الفور تخلص " البرواناه " منهم بقتلهم حتى يؤكد براءته من اتفاقه مع السلطان " بيبرس " صاحب مصر (٦٥) .

وعلى ضوء هذه المعطيات نستطيع القول بأن تلك الجماعة العسكرية التي أوفدها " البرواناه " إلى الظاهر " بيبرس " ربما كانت تضم عددا من القادة والأمراء وأتباعهم المناوئين لسلطته السياسية وتطلعاته الشخصية المتنامية في آسيا الصغرى ، وبالتالي اعتزم إقصائهم من بلاده (منطقة نفوذه) ، في الوقت الذي تقف فيه قواته جنبا إلى جنب مع الإيلخانيين في حصار قلعة البيرة .

بيد أن هؤلاء القادة والأمراء ، ربما حاولوا التنكر له والتمرد عليه ، لوضعه في موقف يكشف سياسته النرجسية ، فقبضوا على

الرسل الثلاثة الذين كانوا في طريقهم إليه ، وأرسلوهم بكتبهم إلى أبتاي قائد الإيلخانيين في حصاره للبيرة ، بقصد تأليبه على "البرواناه" وإيقاع الفرقة بينهما آملين أن تكون النتيجة في صالحهم مستقبلا .

وبالرغم من أن " أبتاي " وبعض رفاقه ، كانوا قد اقتنعوا في الظاهر برأي " البرواناه " كما قلنا ، إلا أنهم من ناحية أخرى أرسلوا كتب الرسل الثلاثة دون علم " البرواناه " إلى " آباقا خان " ، فربما ينجحوا في تأليبه عليه وتخليصهم من نفوذه (٦٦) .

المهم أن القوات المحاصرة " للبيرة " بدأت لنقص المؤن إنسحابها ، ولعلم بيبرس بذلك عاد إلى حمص ومنها إلى دمشق ثم إلى مصر (٦٧) .

ويشير النويري (٦٨) إلى ذلك قائلا " **بلغ السلطان حركة التتار، وأن قصدهم البيرة ، فجمع العساكر من جميع البلاد ، وأقام ينتظر خبرا محققا ، فوصل الخبر أن التتار نازلوا البيرة في يوم الخميس ثاني جمنادي الآخرة ، وأنهم أقاموا في تلك الليلة أحد عشر منجنيقا، واهتموا بالحصار ، ونصب المجانيق ، وكان مقدمهم أبتاي ، فأنفق السلطان في العساكر وتولى النفقة بنفسه ، وخرج بالعساكر فلما وصل إلى القطيفة (*) بلغه رحيل التتار لانقطاع الميرة عنهم ، فوصل**

---

* القطيفة : تصغير القطيفة ، وهو كساء له خمل يفترشه الناس ، وهو الذي يسمى اليوم زولية ومحفورة ، وهي قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق في طرف البرية من ناحية حمص .

ياقوت ، المصدر السابق ٣٧٨/٤ مادة القطيفة .

إلى حمص ، ثم عاد إلى دمشق في مستهل شهر رجب متوجها إلى الديار المصرية ، فدخل إلى قلعة الجبل في ثامن عشر الشهر .

وإذا كان هذا التوتر العسكري قد انتهى دون مواجهة بين المماليك والإيلخانيين ، فإن شبح تلك المواجهة كان ماثلا في الأفق ؛ إذ تابع " البرواناه " نشاطه السياسي ، وأرسل للظاهر بيبرس يستدعيه إليه في محاولة للنيل من نفوذ أبتاي ، وبعض رفاقه من الإيلخانيين ، لكن " بيبرس " اعتذر عن عدم إجابة مطلبه واعدا إياه تنفيذ ذلك في العام القادم؛ معللا موقفه بعدم توافر المياه حينذاك (٦٩) .

ويبدو أن " آباقا خان " كان قد أحس بما ينتويه " البرواناه " من مؤامرات هدفها مصلحته الشخصية ، فأرسل في طلبه (٧٠) .

لكن الأخير كان على علم بمدى تغير " اباقا خان " عليه ، وعندئذ حاول استخدام حنكته السياسية لاحتواء الموقف المتوتر ، فتذرع بأنه كان وقتذاك مشغولا بتجهيز ابنة السلطان " **ركن الدين قليج أرسلان الرابع** " من كرجي خاتون التي كانت ستزف إلى اباقا خان حسب رغبته (٧١) ، إلا أن آباقا خان لم يعبأ بهذا وتشدد في طلبه، وبالفعل تأهب " البرواناه " لهذا اللقاء المرتقب .

وهنا أصبح " البرواناه " في مأزق أوجب عليه البحث عن طوق نجاة ، يجنبه مغبة اللقاء مع اباقا خان قبل مغادرته اسيا الصغرى ، ويسعفنا العيني بإضاءة تاريخية ؛ أشار فيها إلى استدعاء "البرواناه" وهو بقيسارية " لسيف الدين طرناي " صاحب أماسية قائلا له " **أنت تعلم أنني لست أختار القدوم على أبغا ، ولا يسعني التأخير**

إلا بسبب مانع عن السفر ، فإذا عدت من عنـــدي تتفــق مـــع الأمـــراء ، وتكون كتبهم متواتـــرة إلـــيّ بـــأن الملـــك الظـــاهر قـــد قصـــد البـــلاد ، وتحرضوني على الرجعة وتحثوني علـــى الســـرعة " (٧٢) .

وهذا دليل قاطع على نرجسية " البروانـــاه " ، وحبـــه لذاتـــه ، فـــهو يأمل أن يطفو فوق الأحـــدلاث ، دون الغـــوص فـــي أعماقـــها لـــيرى مـــا تنطوي عليه من آثار سلبية متعـــددة الجوانـــب ، لـــو اصطدمـــت القوتـــان الكبيرتان (المماليك ، والإيلخانيون) بعضـــهما ببعـــض .

المهم أن " البروناه " غادر آسيا الصغرى ، متجـــها إلـــى "تـــبريز" يحدوه الأمل في تحقيق ما اتفق عليه مـــع " **طرنطـــاي** " وبعـــض الأمـــراء، لتحديد موقفه من العودة إلى آســـيا الصغـــرى لكـــي يســـتمر فـــي مسلســـل ممارسة نشـــاطه .

وبالفعل وصلت إلى " البروناه " مكاتبـــات ذكـــرت " **أن الســـلطان الملك الظاهر قاصد البلاد بعساكره وإنك إن لـــم تســـرع العـــودة إلينـــا ... فالبلاد مـــأخوذة "** (٧٣) .

وعندئذ تلقف " البروناه " تلك المكاتبات بلهفـــة وشـــغف شـــديدين مرسلا إياها على الفور إلى آباقا خان قبيل وصولـــه هـــو ، ومـــا إن أطلـــع "آباقا خان" على تلك الرسائل ؛ حتـــى أصـــدر دســـتورا يقضـــي بعـــودة " البروناه " ثانيـــة إلـــى اسـيا الصغـــرى ، لممارســـة ســـلطته فـــي بـــلاد السلاجقة بها ، ولم يكتف " اباقا خـــان " بذلـــك بـــل أمـــده بثلاثيـــن ألـــف مقاتل من أعيان الإيلخانيين ليكونوا له عونـــا إذا مـــا نشـــب قتـــال ، وقـــد أكد ذلك كلا من العيني (٧٤) ، وابـــن بـــهادر (٧٥) .

وإن كانت تلك السطور تشير إلى تقديم عون مادي ومعنوي ، من جانب " آباقا خان " " للبرواناه " ، فإن هذا العمل ربما قد تم من باب تدعيم صفوف الإيلخانيين بآسيا الصغرى هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لوضع " البرواناه " في مأزق إذا ما نشب القتال بين بيبرس والإيلخانيين ، وهو دائما وشيك الوقوع .

وإن كان من الملحوظ أن " البرواناه " قد نجح في احتواء الموقف مع " آباقا خان " ، وحقق في زعمه بعض المكاسب السياسية، فإنه قد خفي عليه تعرضه لخطر داخلي ؛ إذ اتفقت عليه أثناء غيابه عن منطقة نفوذه كلمة الأمراء (**ضياء الدين وشرف الدين ابني الخطير ، وسنان الدين بن طرنطاي**) وغيرهم مع كلمة السلطان غياث الدين كيخسرو الثالث ، في استدعاء الظاهر " بيبرس " بقواته إلى بلادهم للقضاء على نفوذ " البرواناه " وسطوة الإيلخانيين معا[٧٦].

وبالفعل تمت بعض مراسلات بين الطرفين ، أعقبها لقاء الأميران ضياء الدين بن الخطير ، وسنان الدين بن طرنطاي بالظاهر بيبرس في مدينة " عينتاب " إحدى مدن الشام إلى الشمال من حلب ، وطالباه بتسيير جيشا معهما ليتمكنا به من إحضار السلطان كيخسرو الثالث ، وبقية الأمراء الذين ضاقوا ذرعا بحكم البرواناه والإيلخانيين، وكأن لسان حال الأميرين يقول لبيبرس أن سلطان السلاجقة باسيا الصغرى لم يبق له من السلطة إلا اسمها ، وأن الوقت قد حان لدخول قواته تلك البلاد [٧٧] .

استجاب " بيبرس " لطلب الأميرين وأرسل معهما أميرين آخرين هما : سيف الدين بلبان الزيني ، وبدر الدين بكتوث . وربما كان ذلك لدراسة الموقف على الطبيعة قبيل دخول قواته إلى بلاد سلاجقة آسيا الصغرى ، وما إن وصل هؤلاء الأمراء إلى مشارف البلاد حتى علموا أن " البرواناه " ، ومن برفقته من الإيلخانيين قد حالوا بينهم وبين دخولهم إياها ، فعادوا أدراجهم إلى السلطان "بيبرس" الذي أرسلهم لمصر ليقيموا بها [٧٨] .

وهكذا ينتهي عام ٦٧٤هـ بالتوتر العسكري المتنامي بين المماليك والإيلخانيين ، وتناقص نفوذ " البرواناه " تمهيدا لأفول نجمه، ومن هنا حاول " البرواناه " الحصول على بعض المكاسب باستعادة نشاطه السياسي الذي هدف من ورائه إثارة القلاقل والاضطرابات بين المماليك والإيلخانيين لحدوث المواجهة المنتظرة التي ربما يحقق من ورائها كسبا ومغنما شخصيا .

فنراه في بداية عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م يجهز الأمير حسام الدين بيجار ، وابنه بهاء الدين ، وآخرين ويرسلهم لمقابلة الظاهر بيبرس [٧٩] ،ويبدو أنهم كانوا محملين ببعض الرسائل للوقوف على آخر التطورات بآسيا الصغرى ، وإلى مزيد من التفاصيل حول أحداث هذا العام يمكن التعرف عليها من خلال سطور الصفحات التالية .

الفصل الثالث

معركة آبلستين ونهاية البرواناه

لا نجانب الحقيقة إذا قلنا أن معركة عين جالوت بين المماليك والإيلخانيين عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ، قد تركت بصماتها الواضحة على سير العلاقات بين الطرفين سياسيا وعسكريا ، فمنذ ذلك التاريخ وكلا الطرفين متحفز للآخر يحاول جاهدا توسيع دائرة نفوذه على حساب نظيره .

ولعل ما شهدناه في سطور الفصل السابق لدليل واضح على تلك الرؤية ، فالصراع شبه دائم ومستمر بين الطرفين ، حتى وصل في بعض الأحيان إلى حد المواجهة .

ولما كانت آسيا الصغرى (منطقة نفوذ " البرواناه ") محط أنظار الطرفين من الناحيتين الاقتصادية والاستراتيجية ، فإن كلا منهما عمل بجد على بسط سيادته عليها ، واصطناع الصداقات بها ، وإنشاء علاقات مع من جاورها من البلدان ، أو عاصرها من القوى السياسية ذات التأثير في سياسة المنطقة .

وبالطبع كان " للبرواناه " دور في هذا الاتجاه لأنه شخصية نرجسية كما ألمحنا يعيش لنفسه ولوقته دون التفاته منه لماض يضيء حاضرا ويصنع مستقبلا ، فنراه متقلب السياسة حسب مصلحته ، وموقعه ، لا حسب متطلبات بيئته وسكانها ، فتارة يحالف المماليك على حساب الإيلخانيين وتراة أخرى يفعل عكس ذلك .

ويلمح النويري [٨٠] جوانب متعددة من هذه الممالأة ، فيذكر وصول رسل " البرواناه " إلى " بيبرس "سلطان المماليك بمصر عام ٦٧٤هـ ، لإخباره بنية الإيلخانيين تجاه قلعة " البيرة " كما أشرنا

سابقا ، وأنه أي " البروناه " سوف يقدم العون لجنود السلطان فور رؤيته لهم ، لكنه بالطبع لم يف بذلك .

وهذه إشارة واضحة على ميل ظاهري من جانب " البروناه " تجاه مصر كقوة سياسية معاصرة ذات تأثير على مجرى الأحداث في المنطقة .

وفي عام ٦٧٥هـ ينتهج " البروناه " سياسة مغايرة تماما لتلك؛ إذ انتهز فرصة إظهار ولاء بعض أمراء الإيلخانيين بأسيا الصغرى "لبيبرس" سلطان مصر ، وأعلن هو تقربه للحكومة الإيلخانية ، نافضا يده من اتفاقه السابق مع هؤلاء الأمراء من حيث الولاء لبيبرس .

يقول النويري [٨١] وفي عام ٦٧٥هـ " **وصلت الأخبار أن جماعة من أمراء الروم أظهروا طاعة السلطان ، وتجاهروا بذلك ، وأن " البرواناه " انفرد عنهم ، وتقرب إلى التتار ، ورجع عما كان مشتركا معهم فيه من طاعة السلطان " .**

وبالطبع يعتبر هذا التلون الخطير الذي يكمن في بحث "البروناه" عن مكاسب شخصية ، بمثابة قصور في رؤيته للأحداث ، والوعي بها ، وما ينتج عنها من اثار ، لأن الوعي في استعادته يتطلب معرفة ، وقد مرت على " البروناه " وسائل متعددة للمعرفة من خلال الأحداث السابقة ، لكنه أغمض عينيه الا عن مكاسبه الشخصية ، وآماله التي يتخيلها .

يواصل " البروناه " سياسته ، ويحاول الضرب على وتر ثالث حساس ، وهو إقصاء بعض أمراء السلاجقة عن دائرة نفوذه بحجة

تعرضهم لأذى الصراع المتوقع بين المماليك والإيلخانيين وطالب إياهم بالنجاة بأرواحهم وأنفسهم .

عود إلى سياسة التقرب بين " بيبرس " وبعض أمراء آسيا الصغرى ، فتجدر الإشارة إلى أن الأمير : **شرف الدين مسعود بن الخطير** ، وأخوه **ضياء الدين محمود** قد اتفقا مع **غياث الدين كيخسور الثالث** سلطان سلاجقة آسيا الصغرى ، وتوجهوا معا إلى قلعة **نكيدا**(*) ومن هناك راسلوا بيبرس سلطان مصر (٨٢) .

أي أن الأميرين السابقين يتقدمهم السلطان **كيخسرو الثالث** راسلوا بيبرس ، وربما يرجع ذلك لأغراض ثلاثة ، أولهما : كف أذى المغول عنهم ، وثانيها : كف أذى نوابهم بآسيا الصغرى ، وثالثها : تحجيم " البرواناه " ، والعمل على القضاء عليه لما ارتكبه من أخطاء عرضت بلادهم لويلات الحروب .

وهنا نلاحظ أن مراسلة الظاهر " بيبرس " لم تكن وقفا على هؤلاء الثلاثة فقط ، وإنما ازداد عدد الأمراء المتحالفون معهم مثل : الأمير حسام الدين بينجار وولده الأمير بهاء الدين ، وجماعة أخرى من الأمراء يصل عددهم إثنا عشر أميرا جميعهم كاتبوا " بيبرس " سلطان مصر ، طالبين نجدته (٨٣) .

* **نكيدا** : مدينة قديمة صغيرة ، بينها وبين قيسارية ثلاثة أيام من جهة الشمال ، قيل أن بقراط الحكيم كان بها ، وبينها وبين هرقلة ثلاثة أيام .

راجع ياقوت ، المصدر السابق ٣٠٣/٥ مادة نكيدا .

وبالطبع هذا رد قاس على سياسة " البرواناه " في ممالأة حكومة المغول ، وفي نفس الوقت فرصة سنحت " لبيبرس " لكي يحقق كثيرا من النفوذ ؛ فركب على الفور من حصن الكرك إلى دمشق في الرابع عشر من شهر المحرم ، وهناك التقى بالأمراء الذين وفدوا للقائه ، وكان أولهم وصولا الأمير حسام الدين بينجار ، والأمير بهاء الدين بهادر وولده أحمد ، تلاهم بعد ذلك الأمير سيف الدين حيدر بك صاحب **الأبلستين** ، والأمير مبارز الدين سوار بن الجاشنكير (*)، وجماعة من أمراء سلاجقة أسيا الصغرى ، وحينذاك تلاقهم السلطان بنفسه ، وأحسن إليهم ووصل بالأموال حريمهم وأولادهم ، ثم جهزهم إلى الديار المصرية ، تمهيدا لمواجهة حاسمة مرتقبة مع المغول (٨٤) .

وهكذا رأينا كيف تمزق نسيج اسيا الصغرى بين من يطلب نجدة المماليك ، وبين من يطلب نجدة المغول ، و" البرواناه " لاشك أحد أسباب هذا التمزق ، إضافة إلى الأوضاع الدولية التي أفرزها الصراع حول مناطق النفوذ واصطناع الحلفاء .

ويبدو أن الموقف قد تصاعد ، فكتب السلطان " بيبرس " انذاك إلى الأمراء : **بدر الدين بيسري ، وشمس الدين آقش البرلي ، وقطليجا** ، فحضروا على خيل البريد إلى دمشق كما طلب الأمير

* **الجاشنكير** : من المصطلحات الديوانية في العصر المملوكي ، وهو لقب موظف بالقصر السلطاني ، أو الأميري ، مهمته تذوق الطعام والشراب قبل سيده ، اختبارا وضمانا لخلوه من السم .

راجع . عمارة (محمد) ، المرجع السابق ص١٤٠ مادة الجاشنكير .

شمس الدين سنقر الأشقر بالحضور إليه ، **متوجها هو إلى مدينة** حلب لتجهيز الأمير : سيف الدين بلبان **الزيني الصالحي مع جماعة** من العسكر ، فساروا يتقدمهم **السلطان إلى القلعة التي كان بها غياث الدين كيخسرو الثالث** ، والأمير : شرف الدين مسعود بن الخطير ، وعندئذ وصل كتاب إلى السلطان من الأمير : سيف الدين بليان الزيني الصالحي ، يعرفه أن السلطان كيخسرو الثالث وصل إلى (كرصو) من روافد نهر الفرات ، وأن المغول قد وصلوا إليها أيضاً ، واصبح بالتالي النهر بينهما ، وحينئذ عاد السلطان إلى بلدة عينتاب بعد الوقوف على الأوضاع ، لكي يعبئ قواته عسكريا ومعنويا ونفسيا استعدادا للمواجهة المرتقبة حينذاك (٨٥) .

والشيئ الخطير الذي لاح في الأفق وقتذاك ، هو أن شرف الدين مسعود بن الخطير قد فر هاربا إلى بعض القلاع ، وبالبطع كان لدى هذا الرجل قدرا من الأسرار ؛ عن غياث الدين كيخسرو الثالث سلطان سلاجقة آسيا الصغرى ، وعن الموقف والصراع بشكل عام ، ومن هنا أصبح خطرا على المماليك إذا ما أضيف إلى سياسة "البرواناه " في التقرب للمغول .

وهذا تمرد خطير في الوقت الذي كان فيه أخوه ضياء الدين ساز ال على ولائه للسلطان ، أما بخصوص غياث الدين كيخسرو الثالث فقد علم المغول أنه محتجز في قلعة (كرصو) كما ألمحنا انفا ، وعندئذ عفوا عنه مسلمين إياه إلى الصاحب و" البرواناه " .

وفي الرابع عشر من ربيع الأول عام ٦٧٥هـ عاد " بيبرس " إلى مصر بعد توقفه في دمشق قليلا ، وبقى هناك حتى شهر رمضان ثم توجه إلى اسيا الصغرى (منطقنة نفوذ " البرواناه ") حيث المواجهة الساخنة مع المغول وحلفائهم .

آبلستين والمواجهة الحاسمة في رمضان ٦٧٥هـ

بعد التصعيد المستمر للموقف بين المماليك والإيلخانيين كما رأينا ، كان لابد من المواجهة الحاسمة بين الطرفين ، فيذكر النويري أن " بيبرس " بعد وصوله الديار المصرية في الرابع عشر من ربيع الأول عام ٦٧٥هـ ، اعتزم السفر في رمضان تجاه اسيا الصغرى ، وقد جهز من جاءه من أمراء سلاجقة الروم بالخيول والخيام وما يلزمهم ، ثم توجه هو من قلعة الجبل بقواته يوم الخميس العشرين من رمضان من نفس العام ، منيبا عنه الأمير شمس الدين أقسنقر استاد الدار (*) ،والصاحب بهاء الدين ، وجعلهما في خدمة ولده الملك السعيد ، وقد أخذ " بيبرس " برفقته الصاحب زين الدين أحمد ، جاعلا إياه وزير الصحبة ، كما استصحب كتاب الإنشاء ، وفوض في هذا اليوم أمر الجيوش للقاضي عز الدين ابراهيم بن الوزير (٨٦) .

* أستاد الدار : بضم الهمزة هو متولي شئون الدار ، وهو منصب عام في الدواوين السلطانية ، واستاذ الدار ، أي رئيس شئونها .

راجع : الباشا (حسن) المرجع السابق ص٢٨٤ ، وعمارة (محمد) الرجع السابق ص٤٤ .

بيبرس يتحرك صوب دمشق

بدأ " بيبرس " تحركه صوب دمشق يوم السبت الثاني والعشرين من رمضان ، وأثناء مروره على الممالك التي تتبعه ، استعان منها بعدد من القوات التي اصطحبها معه بكل ما يلزمها من مال وسلاح وعتاد ، فوصل دمشق يوم الأربعاء السابع عشر من شوال ، ومنها توجه إلى حلب يوم السبت العشرين من نفس الشهر فدخلها في مستهل ذي القعدة ، ثم غادرها في اليوم الثاني إلى حيلان(*) ، وهناك ترك بعض أثقاله ، وطلب من نائب السلطنة بها وهو الأمير " **نور الين علي بن مجلي** " أن يتجه إلى بلدة " **الساجور**(*) " ويقيم بمن معه من عسكر حلب على نهر الفرات لمراقبة معابر النهر خشية المغول [٨٧] .

وهكذا تتضح جدية " بيبرس " في تعبئة قواته ، وأخذه الحيطة والحذر حتى لا يؤخذ على غرة .

بدء المناوشات :

كان بالعراق طلائع للمغول ، وعندما علموا بتحرك " بيبرس " وقواته ، أخذوا حذرهم لتبدأ المناوشات ، فجهزوا جماعة من عرب

* **حيلان** : بالفتح من قرى حلب ، تخرج منها عين فوارة كثيرة الماء تسيح إلى حلب وتدخل إليها في قناة ، وتتفرق إلى الجامع وإلى جميع مدينة حلب .

راجع ، ياقوت : المصدر السابق ٢/٣٣٢ .

* **الساجور** : ذكر ياقوت أن الساجور اسم نهر بمنبج . المصدر السابق ٣/١٧٠ .

خفاجة لينالوا من قوات " بيبرس " على غرة ، وما أن علم الأمير نور الدين نائب حلب بخبرهم ، حتى توجه إليهم مقاتلا إياهم ، فنجح في هزيمتهم وأغتنم منهم ألفين ومائتي جمل .

وفي يوم الجمعة الثالث من ذي القعدة رحل السلطان من حيلان إلى عينتاب ، ومنها إلى دلوك (*) ، ثم إلى الديباج (*) ، ومنها إلى كينوك ، ثم إلى كراصو ، ومنها إلى أقجادربند . فوصلها يوم من الثلاثاء السابع من نفس الشهر ، بات ليلته هناك ثم أرسل الأمير شمس الدين سنقر الأشقر على رأس جماعة من العسكر جالبشا(*) ، فاصطدموا بثلاثة آلاف فارس من المغول بقيادة كراي ، فنالوا منهم وهزموهم شر هزيمة ، كما أسروا وقتلوا ، وقد وافق ذلك يوم الخميس التاسع من الشهر (٨٨) .

---

* **دلوك** : بضم أوله ، وأخره كاف : بليدة من نواحي حلب بالعواصم ، كانت بها وقعة لأبي فراس بن حمدان مع الروم .

راجع ياقوت الحموي ، المصدر السابق ٢/٤٦١ . مادة : دلوك .

* **مرج الديباج** : واد عجيب المنظر نزه بين الجبال ، بينه وبين المصيصة عشرة أميال .

راجع ياقوت ، المصدر السابق ٥/١٠١ مادة مرج الديباج .

* **جاليش** : في الفارسية جاليش بمعنى الحرب والمعركة ، والجاليش في الكتب العربية علم كبير في أعلاه خصلة من شعر الخيل ، وقد كان من التقاليد السلوكية إذا عزم السلطان على الخروج للقتال أن يرفع هذا العلم اربيعن يوما قبل يوم الخروج فوق مبنى الطبلخانة .

سليمان أحمد السعيد ، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص٥٧ .

المعركة :

تنامت الأخبار إلى مسامع " بيبرس " باقتراب عسكر المغول بقيادة تتاون ، وعسكر سلاجقة آسيا الصغرى بقيادة " البروناناه " ، فرتب السلطان عساكره التي ارتقت جبال تشرف على صحراء "هوني" من بلدة أبلستين في الوقت الذي بات المغول فيه على نهر جهان (جيحان [*]) ، ثم هبط رجال " بيبرس " من فوق الجبل ، واصطفت جيوش المغول في إثنا عشر جيشا يربو كل واحد منها على الألف ، بينما تركوا جيش " البرواناه " على انفراد حتى يأمنوا مكره وخديعته .

ويذكر النويري أن جيش المغول كان من أفضل ما يمتلك اباقا خان بن هولاكو من جيوش ، وأنه يضم بين صفوفه أكابر مقدمي المغول ، وسرعان ما اشتعل القتال ، فقدم " بيبرس " بعض مماليكه وخاصته فنجحوا في قتل جماعة من المغول .

---

* **جيحان** : بالفتح ثم السكون والحاء مهملة ، وألف ونون ، نهر بالمصيصة بالثغر الشامي ومخرجه من بلاد الروم ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكفربيا بإزاء المصيصة، وعليه عند المصيصة قنطرة من حجارة رومية عجيبة قديمة عريضة ، فيدخل منها إلى المصيصة وينفذ منها فيستد أربعة أميال ثم يصب في بحر الشام .

ياقوت الحموي ، المصدر السابق ١٩٦/٢ . مادة : جيحان .

ورد المغول على ذلك بمحاولة ضرب ميسرة جيش " بيبرس " فالتفت جماعة منهم خلف السناجق السلطانية لكن " بيبرس حمل عليهم، واشتد القتال لينجلي الموقف عن هزيمة نكراء للمغول وقتل عدد كبير منهم ، وعلى صعيد اخر استشهد من جيش بيبرس " **شرف الين قيران العلاني** " أحد مقدمي الحلقة ، " **عز الدين أخو المحمدي** " ، ثم نزل السلطان موقع عدوه ، وجيئ عندئذ بالأسرى ، فأستبق بعض أكابرهم ، وقتل البعض الآخر ، كما اسر جماعة من أكابر سلاجقة آسيا الصغرى ، ووصل منهم جماعة بخدمة السلطان[٨٩] .

وكان من بين الأسرى " **بكلاء بن البرواناه** " وأورده ابن عبد الظاهر **مهذب الدين** ، ومعه ابن اخته وولد خواجا يونس ، والأمير **نور الدين بن جاجا** ، والأمير قطب الدين أخو الأتابك ، والأمير سراج الدين جاجا ، وسيف الدين سنقرجاه الزوباشي ، ونصرة الدين صاحب سيواس ، والأمير كمال الدين عارض الجيش بالروم ، وحسام الدين بركاول قريب " البرواناه " ، وسيف الدين بن عليشر التركماني، والأمير سيف الدين جيالش النائب بالروم ، وهو أمير داد ومعناه أمير العدل ، وقاضي القضاة حسام الدين قاضي الروم ، وأولاد الأمير صارم الدين بن الخطير ، وغير ذلك من الأمراء [٩٠] .

ويشير موير [٩١] إلى المعركة ذاكرا ان " بيبرس " سير جيشا عظيما لموازرة السلاجقة بقيسارية ، ضد احد نواب المغول الذين غلبهم على حكومة بلادهم ، وبعد أن أقام " بيبرس " استعراضا عظيما سار بجيش كبير إلى قيليقية فهزم المغول هزيمة منكرة عند ابلستين .

وفي هذا المقام يعن لنا سؤال مهم ، أين " البرواناه " ؟ " وعلى الفور يجيبنا ابن العبري [٩٢] قائلا " **أما بروانة فلما رأى انكسار التتر هرب مع السلطان إلى قلعة دوقية** " . ويعني مع غياث الدين كيخسرو الثالث سلطان سلاجقة الروم .

وينقل النويري [٩٣] نصا في هذا الصدد على لسان القاضي **محى الدين بن عبد الظاهر** في السيرة الظاهرية فيقول " **وأما البرواناه فإنه شمر الذيل ، وامتطى هربا أشهب الصبح ، وأحمر الشفق ، وأصفر الأصيل وأدهم الليل ، ودخل قيسارية في وقت السحر من يوم الأحد ثاني عشر الشهر فأفهم سلطانها غياث الدين كيكاوس بن كيخسرو ، والصاحب فخر الدين وزيرها ، والأتابك مجد الدين ، والأمير جلال الدين المستوفي ، والأمير بدر الدين ميكائيل النائب والطغرائي وهو ولد أخي البرواناه ، أن جيش الإسلام كسر بعض المغل ، وأن بقية المغل انهزموا ، ويخشى أن يدخل المغول قيسارية ويقتلون من بها حنقا على الإسلام ، فأخذهم وأخذ زوجته بنت غياث الدين صاحب أرزن الروم ، وتوجهوا صوب توقات ، ولهذه كرجي خاتون (امرأة البرواناه) أربعمائة جارية استصحبن منها وكانت لأم هذه كرجي خاتون ملكة الكرج وتوقات مكان حصين مسيرة أربعة أيام من قسارية** " .

وخلاصة القول أن " البرواناه " هرب من ميدان القتال ليبحث عن دور جديد يمارس من خلاله نشاطه السياسي ومناوراته المتعددة ، وسوف نجلى ذلك بعد قليل .

بيبرس في طريقه لقيسارية :

نعود إلى بيبرس فنراه يجرد الأمير شمس الدين سنقر الأشقر في جماعة من العسكر لإدراك ما انهزم من المغول ، وأمره بالتقدم أمامه صوب قيسارية ، وكتب له بتأمين أهلها ، وكان الليل قد حال بين أصطدام الأشقر وبين بعض المغول .

وفي الحادي والعشرين من الشهر رحل بيبرس من ميدان القتال إلى مكان يقترب من قرية رمان ، وهي قرية ذات منازل مبنية على سفح جبل قائم كالهرم يطوف بها جبال كأنها أسوار ، ومنها تخرج أنهار عليها قناطر لا تسع أكثر من راكب واحد ، وفي تلك الأثناء اشتد هطول الأمطار ، ونزل " بيبرس " وطأة من أعمال صاروس العتيق وبقربها معدن الفضة فورد عليه خبر تواجد المغول في فجوة هناك ، فركب وعساكره ، لكن كثرة الأمطار أعاقته عن ذلك فبات ليلته مكانه .

وفي الصباح الباكر تحرك " بيبرس " صوب قيسارية ، فسلك جبالا وعرة مارا بقرية أوترال إلى خان على مقربة من حصن سمندو (*) الذي بعث السلطان لنائبه كتابا فأجابه إلى طلبه ، وعلى ذلك شكره السلطان وأحسن اليه وعلى متولي قلعة درندا ، ووالي دوالوا

• **حصن سمندو** : بلد في وسط بلاد الروم غزاها سيف الدولة عام ٣٣٩هـ ، وهرب منه الدمستق .

راجع ياقوت الحموي ، المصدر السابق ٢٥٣/٣ مادة سمندو .

لإجابتهم إلى طاعته ، ثم نـــزل الســـلطان بقريـــة قـــرب قيســـارية شـــرقي جبل عســـيب .

وفي منتصف ذي القعدة من نفـــس العـــام اتجـــه " بيـــبرس " إلـــى مدينة قيسارية ، فقوبل من أهلها بكـــل حفـــاوة وتكريـــم ، علـــى اختـــلاف طبقاتهم من العلماء والأكابر ، والنساء والأطفـــال ، ونـــزل الســـلطان بـــها في موقع سلطان سلاجقة آسيا الصغـــرى ، وارتفعـــت الأصـــوات حينـــذاك بالتكبير ، وضربت نوبة آل ســـلجوق علـــى العـــادة ، وحضـــر أصحـــاب الملاهي فردو ، وكان أولاد قرامان أمـــراء التركمـــان قـــد رهنـــوا أخـــاهم الصغير ، علي بك عند سلاجقة آسيا الصغـــرى ، فخـــرج إلـــى الســـلطان فأكرمه ، وأجابه إلى طلبه في تواقيـــع وصنـــاجق لـــه ولأخوتـــه وألحقـــهم بخدمتـــه .

وفي يوم الجمعة السابع عشر مـــن ذي القعـــدة ، دخـــل " بيـــبرس " قيسارية ، وعلى رأسه جتر بني سلجوق ، وقـــد هيئـــت دار الســـلطنة بـــها لنزوله ، وجلس على تخـــت بنـــي ســـلجوق ، مســـتقبلا القضـــاة والفقـــهاء والوعاظ والصوفية ، وأعيـــان قيســـارية ، وذوو المراتـــب الذيـــن جـــاءوا لحضرته على العادة السلجوقية في أيام الجمع ، ووقف لـــــه أمـــير المحفـــل وهو عندهم ذو حرمة وسكانـــة ، وعليـــه أكـــبر ثـــوب وأكـــبر عمامـــة ، فرتب المحفل وقرأ القراء ، ثم أنشـــد أمـــير المحفـــل بالعربيـــة والعجميـــة مدائح في السلطان ، ومد السماط فأكل مـــن حضـــر وانصرفـــوا ، وصلـــى السلطان الجمعـــة بقيســـارية ، وقـــد خطـــب لـــه الخطبـــاء علـــى منـــابر مساجدها السبعة ، ثم عاد بعد ذلـــك إلـــى دار الســـلطنة وجيـــئ حينـــذاك بدراهم عليها السكة الظاهريـــة [٩٤] .

وهكذا رسمت لنا المصادر التاريخية صورة تعبيرية عن أنماط اجتماعية متعددة المناحي بآسيا الصغرى (منطقة نفوذ البرواناه) ، منها من لاقى مصيره قتلا من الأمراء ، ومنها من وقع في الأسر ، ومنها من أنعم عليهم السلطان بيبرس بالهدايا والألقاب ، ومنها من خرج مهللا ومكبرا لملاقاة السلطان ، وبالطبع ليس حبا لذاته بقدر ما هو تطلع للخلاص مما هم فيه من سطوة المغول ونفوذ " البرواناه " .

نعود إلى " البرواناه " ومناوراته فنراه إثر انتهاء المعركة يواسي المهزوم ، ويطلب منه إسراع الخطا إلى آسيا الصغرى للحاق " ببيبرس " قبيل مغادرته البلاد ، وفي نفس الوقت يزف التهاني "لبيبرس" ويحمل إليه أموالا " وأشياء ثمينة كان يمتلكها هو وزوجته ، كذلك يوزع مقتنيات من نزحوا على أمراء السلطان [٩٥] .

وبالطبع تلك مناورة يحاول " البرواناة " من خلالها كسب ود ورضا الطرفين فيأمن جانب " بيبرس " في الوقت الذي يطمع فيه في استثمار الوقت فربما يأتيه أباقا خان ويلحق بالسلطان " بيبرس " ويشتبك معه ثأرا لهزيمته ، فيحرز " البرواناه " من خلال ذلك كسبا سريعا .

ويعطينا النويري بعض المعلومات عن ذلك على لسان ابن شداد الذي قال " **حكى لي من أثق به أن " البروناه " بعث إلى السلطان لما دخل قيسارية يهنئه بالجلوس على التخت ، فكتب إليه يأمره بالوفود عليه ليوليه ، فكتب إليه يسأله أن ينتظر خمسة عشر يوما ، وكان مراده أن يصل إلى أبغا ويحثه على المسير بنفسه ،**

والسلطان بالبلاد ، فلم يدرذلك في حدس السلطان ، فاجتمع تتاون بالأمير شمس الدين سنقر الأشقر وعرفه قصد البرواناه في طلبه الإنتظار ، وأن مقصده أن السلطان يتربص حتى يدركه أبغا في البلاد فكان ذلك سبب رحيل السلطان عن قيسارية " (٩٦) .

مما يؤكد أن " البرواناه " مازال يبحث عن أية مكاسب شخصية بأية وسيلة مهما كانت .

السلطان يكشف أوراق البرواناه ويعنفه .

رحل " بيبرس " عن قيسارية في أواخر ذي القعدة ، فنزل بقيرلو فجاءه رسول " البرواناه " برفقة رجل اسمه ظهير الدين الترجمان وإستوقفاه معا عن الحركة وهما لا يعلمان قصده إلى أية جهة ، وإن كان قد أشيع عن التحرك إلى مدينة سيواس ، المهم أن السلطان قال للبرواناه **" إن كتبك وكتب غيرك كانت تأتيني وإشترطتم شروطا لم تفوا بها ولا وقفتهم عندها ، وقد عرفت الروم وطريقه ، وما كان جلوسنا على التخت رغبة فيه إلا لنعلمكم أنه لا عائق لنا عن شئ نريده بحول الله وقوته ، ويكفينا أخذنا أمك وابنك وابن ابنتك وما منحناه من النصر الوجيز ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز " (٩٧) .**

وهكذا يكشف لنا السلطان مناورات " البرواناه " ويعرفه ما حاق بأسرته من الإهانة وما تعرضت له من الذل والهوان بسبب سياسته النرجسية وما جرت هذه السياسة على البلاد من ويلات الحرب ، ولا أدل على ذلك من إرسال السلطان الأمير علاء الدين ،

طيبرس الوزيري بعد نزوله بخان كيقباد إلى قرية رمانة فأحرقها ، وقتل من فيها من الأرمن وسبى حريمه بحجة إخفائهم جماعة من المغول أثناء القتال .

غادر السلطان منزلة روزان كودلوا إلى "قزل صو" وهو النهر الأحمر ، وكان بعيد المنبع كثير الزلق فوقف السلطان شاهرا سيفه ليحمي تحرك قواته ؛ ولتنفيذ ذلك بسط كمية من اللبابيد الحمر تحت حوافر الخيل وأخفاف الجمال فعبرت قواته بسهولة ، ثم عبر هو ونزل مكانا كثير المرعى ومنه إلى صحراء فراحا قرب بازاربلو ، الذي كان سوقا رائجة تباع فيه كثير من الأشياء .

رؤية مكان المعركة :

غادر " بيبرس " السوق السالفة الذكر متجها إلى سحراء آبلستين ، مارا بمكان المعركة لمشاهدة قتلى المغول ، وفي تلك الأثناء جاءته جماعة من أهل آبلستين فسألهم عن قتلى المغول ؛ فقال أحدهم: عددت ستة آلاف وسبعمائة وسبعين من المغل في حامة المعركة ، غير من قتل خارجها ، وهو رقم يدل على مدى الخسارة التي لحقت بالمغول بسبب تنامي القوى ومناورات " البروانـاه " .

وعندما وصل السلطان إلى اقجادربند بعث الأثقال والخزائن والصناجق صحبة الأمير بدر الدين بيليك الخزاندار ليعبر بها الدربند، ثم دخل الدربند واتجه وصحبه إلى النهر الأزرق فعبروه وصولا إلى كينوك ، ومنها إلى قرب حارم ، إذ قضى هناك عيد الأضحى .

وهناك وصلت إليه رسل الأمير شمس الديـــن محمـــد بـــن قرامـــان أمير التركمان ، وكتبه بما اعتمده بـــالروم بعـــد عـــودة السلطان ، وانـــه حضر في عشرين ألف فـــارس مـــن التركمـــان ، وثلايـــن ألـــف راجـــل متركشة إلى خدمته فلم يدركـــه .

ومن هذا الكلام نلمح جانبا من التغـــير الاجتمـــاعي الـــذي أفرزتـــه معركة أبلستين .

ومما يذكر في هذا الصدد أن الأمير شـــمس الديـــن الآنـــف الذكـــر قد نابذ المغول وشب عن طوقهم ، وعن طـــوق ســـلاجقة آســـيا الصغـــرى وانحاز إلى السواحل ، فلما علم بهزيمة المغـــول ووصـــول بيـــبرس إلـــى قيسارية ، حشد جموعا من التركمـــان ، وقصـــد أقصـــرا فلـــم ينـــل شـــيئا فتركها متجها صوب قونية (*) فـــي ثلاثـــة آلاف فـــارس ونـــازل إياهـــا ، فقام أهلها بإغلاق أبوابها ، فرفع عنئـــذ علـــى رأســـه صنـــاجق السـلطان التي أرسلت إليه مع أخيه علـــى بـــك ، وراسـلهم يعرفـــهم أن " بيـــبرس " كسر المغول ودخل قيسارية وملكـــها ، فقـــال أهـــل البلـــد وقتـــذاك : أمـــا الأبواب فلا نفتحـــها ، ولكـــن أحرقوهـــا وأدخلـــوا فـــلا نمنعكـــم وبـــالفعل أحرقوا الأبواب يذكر منـــها ؛ بـــاب الفـــاخراني ، وبـــاب ســـوق الخيـــل ، ودخلوا قونية يوم عرفة ، وكـــان نائبـــها إذ ذاك أميـــن الديـــن ميخـــائيل ، فاتجـــهوا معـــه إلـــى داره ودار غـــيره مـــن الأمـــراء ، وإلـــى الأســـواق

---

* قونية : هي ليكونيوم القديمة ، وتقع على مسافة ١٤٥ ميل جنوبي أنقرة .

Encyclopedia Americana , Vol Xvi, Art Konya.

والخانات فنهبوها ثم ظفروا بأمين الدين ، وأخرجـوه إلـى ظـاهر المدينـة وأخذوا ماله ثم قتلوه وعلقوا رأسه داخـل البلـد (٩٨) .

لكن البلد رغم كل هذا امتنعـت عـن التسـليم ، فكـان لابـد مـن حيلة حتى يتم ذلك ، ومضمون هذه الحيلـة أن يختبـأ رجـل مـن قميـن عين له ، فإذا رأى عند ذلك القمين شابا رمى نفسه عليـه مقبـلا قدميـه ، وحين يندهش الشاب لهذا الموقـف ويقـول لـه كيـف تعرفنـي ؟ فـيرد قائلا: ما أنت علاء الدين كيخسـرو بـن السـلطان عـز الديـن كيقبـاد ؟ أنسيت تربيتي لك وحملك على كتفي ؟ وليكن ذلـك بمشـهد مـن العامـة ، فلما فعل ذلك وسمعت العامة ما دار بين الرجل والشـاب ازدحمـوا عليـه وإذا جماعة من التركمان كان قد رتـب معـهم أنـهم إذا رأوا العامـة قـد أحدقوا به ، فيأخذونه من بيـن أيديـهم ، ويحملونـه إلـى الأمـير شـمس الدين محمد بك ، ففعلوا ذلك ، فلما رآه أقبل عليـه وضمـه إليـه ، وعقـد له لواء السلطنة وحمـل الصنـاجق علـى رأسـه ، وذلـك فـي الرابـع والعشرين من ذي الحجة ، فلمـا رأى أهـل قونيـة مـا حـدث ، حملتـهم المحبة في آل سلجوق على متابعتهم ، ثم نازلوا القلعـة فـامتنع مـن فيـها من تسليمها ، عندئذ حاصروها ثم تقـرر بينـهم الصلـح علـى تسـليمها ، ويعطى من فيها سبعون ألف درهـم ، فدخلوهـا وأجلسـوا عـلاء الديـن فيها على تخت الملـك (٩٩) .

بعد ذلك نما إلـى علـم ابـن قرمـان والتركمـان أن تـاج الديـن محمدا ، ونصرة الدين محمود ابنا الصاحب فخـر الديـن خواجـا علـي ، قد حشدا وقصداهم ، فسـار ابـن قرمـان إليـهما بصحبـة عـلاء الديـن

السالف الذكر ، فالتقوا على آمد شهر ، فكسرها وقتلـــهما ، وقتـــل خواجـــا سعد الدين يونس بن سعد الدين المستوفي صـــاحب أنطاكيـــة ، وهـــو خـــال " البرواناه " ، كما قتلوا جلال الدين خسروا بك بن شـــمس الديـــن يونـــاس بكلارتكس ، وأخذوا رءوسهم وعـــادوا بـــهم إلـــى قونيـــة فـــي آخـــر ذي الحجة ، واستمروا بقونية إلى أن دخلوا عـــام ســـت وســـبعين وســـتمائة ، فبلغم أن آباقا خان وصل بعد خـــروج الملـــك الظـــاهر مـــن الـــروم إلـــى مكان الموقعة ، فرحلوا عن قونيـــة إلـــى جبالـــهم ، بعـــد أن أقـــاموا بـــها سبعة وثلاثين يومـــا (١٠٠) .

وهكذا يتضح لنا مدى التغير الاجتمـــاعي الـــذي أفرزتـــه منـــاورات " البرواناه " ، فبالإضافة لما تقدم ، نرى شمس الديـــن محمـــد بـــن قرمـــان وجماعته مـــن التركمـــان يحدثـــون تغـــيرا سياســـيا واجتماعيـــا كبـــيرا ؛ بدخولهم قونية وجلوسهم على تخـــت الملـــك لســـلاجقة آســـيا الصغـــرى ، ولم يتوقف التغير عند هـــذا الحـــد بـــل قـــام شـــمس الديـــن بـــن قرمـــان وجماعته بالهجوم علـــى الشـــخصيات البـــارزة ؛ كتـــاج الديـــن محمـــد ، ونصرة الدين محمود ابنا الصاحب قمر الدين خواجـــا عنـــد " آمـــد شـــهر " كما قتل خواجا سعد الدين يونـــس بـــن ســـعد الديـــن المســـتوفي صـــاحب أنطاكية خال " البرواناه " ، وجلال الديـــن خســـرو بـــك وآخـــرون ، ثـــم غادر شمس الدين وجماعته قونية إلى المنـــاطق الجبليـــة بعـــد أن مكثـــوا بها سبعة وثلاثيـــن يومـــا ، لعلمـــهم بوصـــول اباقـــا خـــان إلـــى ميـــدان المعركـــة.

آباقا خان يرى قتلاه ويهاجم بعض بلدان آسيا الصغرى (منطقة نفوذ البرواناه)

بعد أن غادر " بيبرس " آسـيا الصغـرى أوائـل عـام ٦٧٦هـ متوجها إلى مصر ، كان في تلـك الأثنـاء قـد تقـدم أباقـا خـان زعيـم المغول من عاصمة ملكه تيريز متجها صوب آسـيا الصغـرى بنـاء علـى ما تلقاه من معلومات من قبل بوكـداي أخـد خـدام تـوداون شـا رحالـه حيثيات وظروف المعركة ، هـذا بالإضافـة إلـى مكاتبـات " البرواناه " وما أن اقترب أباقا خان من آبلستين حتى التقى بها بالبروانـاه الـذي قـدم له فروض الولاء والطاعـة ، واتجـها معـا إلـى ميـدان القتـال لرؤيـة قتـلاه[١٠١] .

يقول النويري [١٠٢] " كان " البروانـاه " معيـن الديـن لمـا تمـت الهزيمة على التتار وعليه ، قد كتب إلـى أبغـا يسـتنصر بـه ويسـتحثه على الوصول إلى بلاد الروم ، فتوجـه آبغـا إلـى بـلاد الـروم ، ولمـا شارف البلاد خرج إليه " البروانـاه " بمـن معـه ، وتوجـه فـي خدمتـه بالعساكر إلى أن وصل إلى أبلسـتين ، ووقـف علـى موضـع المعركـة فتأسف على المغل وبكى واشـتد حزنـه لفقـده قائديـه توقـو وتـوداون ، وإزاء سخطه على كل من سلاجقة آسيا الصغـرى والبروانـاه معـا فـأمر بنهب بلادهـم .

وهنا يؤكد النويري عـدة أمـور ؛ أولا : اسـتطالة يـد الممـاليك على المغول ، وثانيـها : اسـتمرار سياسـة " البروانـاه " بعـد انضـاح فشلها فهو بالأمس القريب كان مهنئا لبيبرس وقريـب مـن نفـس التوقيـت

يستنجد أبغا ، وثالثها : تقاعس أبغا في الوصول إلى أرض المعركة لقلة المعلومات الواردة إليه .

المهم أن أبغا وصل أرض المعركة فقصد موقع بيبرس ، وقام بقياسه بعصا الدبوس لمعرفة حجم قواته ، ثم أنكر على " البرواناه " عدم إطلاعه على أخبار العسكر بشكل واضح ، فاعتذر الأخير عن عدم معرفته بالموقف ، وأن جند السلطان بيبرس جاءوا بغتة ، لكن بالطبع لم يقبل عذره لمعرفته بمواقفه السابقة .

وأراد أبغا حينذاك أن يعقد مقارنة عسكرية بين حجم قواته وقوات بيبرس ، فطلب من الأمير عز الدين أيبك الشيخ وكان في خدمته أن يريه موقع ميمنة ، وقلب وميسرة جيش بيبرس ، فأقام له عز الدين رمحا في كل موضع ، وما أن عاين أبغا المسافات بين الرماح إلا واعترف بقلة حجم قواته قائلا " **ما هذا العسكر الذي حضر معي لا يكفي هؤلاء** " وكان معه ثلاثون ألفا ، دلالة على تفوق قوات بيبرس .

وعلى ضوء ذلك طلب عودة قواته التي أرسلها للشام للحاق بقوات بيبرس ، فعادت من كينوك ، ثم توجه هو إلى قيسارية سائلا اهلها " **هل كان مع صاحب مصر جمال ؛ فقالوا : لا كان معه خيل وبغال ، فسألهم عن معاملته لهم وهل نهب منهم شينا ، فقالوا : لا إلا مشتري بالذهب ، فسألهم عن موعد رحيله عن بلدهم ، فقالوا : منذ خمسة وعشرين يوما ، فقال هم الآن عند جمالهم** " .

ولعل هذه الأسئلة الاستفسارية تـــدل علـــى عـــدة اشـــياء ؛ منـــها ، خفة حركة قوات بيـــبرس ، ومنـــها معاملتـــه الكريمـــة لأهـــل قيســـارية ، ومنها عدة كفاءة استخبارات أبغا بدليـــل مـــرور خمســـة وعشـــرين يومـــا على مغادرة بيبرس موضع المعركة دون علم آباقـــا خـــان .

لم يستطع أبغا أن يخفـــي حقـــده علـــى أهـــل قيســـارية لاســـتقبالهم بيبرس بكل حفاوة وتكريم ، وعبثا حـــاول القضـــاة والفقـــهاء إثنائـــه عـــن عزمه بحجة أن الرعية لا قبـــل لـــها بدفـــع العســـكر ، لكنـــه أمـــر بقتـــل جماعة من أهل البلد ، كما اســـتطالت يـــده علـــى أهـــل العلـــم ؛ إذ قتـــل قاضي القضاة جـــلال الديـــن حبيـــب ، ولـــم تســـلم بـــلاد ســـلاجقة آســـيا الصغرى (منطقة نفوذ البرواناه) من بطشـــه فـــأمر عســـكره باجتياحـــها فقتلوا ما يربو على مائتي ألف ، وقيل قد بلغ جملـــة القتلـــى مـــن قيســـارية إلى أرزن الروم حوالي ٥٠٠ ألف ، وكلـــهم مـــن المســـلمين ، إذ تجـــاوز عن النصارى ، وربما كان ذلك لعدم اســـتعدائه حلفائـــهم ، ثـــم عـــاد بعـــد ذلك إلـــى الأردو .

وهكـــذا رأينـــا مـــدى الضـــــرر السياســـــي ، والاقتصـــــادي ، والاجتماعي ، الذي لحق باســـيا الصغـــرى ، منطقـــة نفـــوذ " البروانـــاه " نتيجة سياسته ونرجسيته ، وكم من مرة أشرنا إلـــى ضـــرر هـــذه السياســـة ومن هنا كان لابد من محاكمتـــــه .

محاكمة البرواناه وقتله عام ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م:

لكل ما حدث اعتزم آباقا خان التخلص من " البرواناه " ، ولتنفيذ ذلك ، عين الأمير قونكقورتاي بدلا منه في حكم بلاد سلاجقة آسيا الصغرى مستدعيا إياه إليه تمهيدا لمحاكمته .

ويعدد الهمذاني (١٠٣) في كتابه جامع التواريخ التهم التي وجهت " للبرواناه " كما ذكرها بعض أمراء الإيلخانيين فيقول " إنه متهم بارتكاب ثلاث جرائم الأولى : أنه هرب من الأعداء ، والثانية : أنه لم يخبر قوات المغول على الفور بمجيء البندقدار ، والثالثة : أنه لم يحضر سريعا إلى الحضرة " .

ويبدو من هذا النص أن الأمراء الإيلخانيون كانوا يحاولون رد هزيمتهم بأبلستين إلى عدم معرتهم بتحرك " بيبرس " وقواته إلى آسيا الصغرى ، لكن هذا الرأى لم يتفق وسير الأحداث التاريخية ، فمن الثابت تاريخيا أن " آباقا خان " وأمراؤه كانوا عى علم بتقدم "بيبرس" لملاقاة جيوشهم منذ حصارهم للبيرة عام ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م ، وذلك بعد اطلاعهم على المراسلات التي تمت بينه وبين " البرواناه " ولم يكن انسحاب " بيبرس من حمص إلى دمشق آنذاك على إثر انسحابهم من " البيرة " إلا للإستفادة من الوقت واغتنام الفرصة لدخوله بقواته إلى اسيا الصغرى .

وعلى ذلك فلم يكن وجود القوات المملوكية في بلاد سلاجقة " اسيا الصغرى " عام ٦٧٥هـ أمرا مفاجئا للإيلخانيين ، ومن هنا فإن انتصار " بيبرس " فيى " آبلستين " يعزي لأمور متعددة منها : الكفاءة

الحربية لقواته فلم يكن نصر عين جالوت ببعيـــد عــن الأذهــان ، ومنـــها استياء سلاجقة اسيا الصغــرى والتركمـــان مـــن نفــوذ الإيلخـــانيين لذلـــك امتنعوا عن تقديم يد العون لهم أثنـــاء المعركـــة .

وبعد ثبوت الاتهامات التي وجـــهت " للبروانـــاه " بممـــالأة الظـــاهر " بيبرس " سلطان المماليك بمصر أصـــدر اباقـــا خـــان أمـــر بقتلـــه فـــي ربيع الأول عام ٦٧٦هـــ / ١٢٧٧م بمصيــف " الاتـــاغ " فـــي الشـــمال الشرقي لبحيرة فان وان على يد كوجـــك توغجـــي (١٠٤) .

وهكذا انتهت حركة " البروانـــاه " بعـــد أن أقلقـــت دولـــة ســـلاجقة آسيا الصغرى وعرضت جهازها الحـــاكم لـــهزة سياســـة عنيفـــة باغتيـــال أحد سلاطينها ، كما أصابت بعض مدنــــها بـــهزة اقتصاديـــة تمثلـــت فـــي حصادها لاثار الحروب المدمرة التي اندلعت علـــى أراضيـــها بيـــن بعـــض القـــوى الخارجيـــة المتصارعـــة ، كالممـــاليك والإيلخـــانيين وبمقتـــــل " البروناه " خلصت بلاد سلاجقة آســـيا الصغـــرى مـــن تلـــك الفتنـــة التـــي ألمت بها أكثر من خمسة عشرة عامــــا .

حواشي البحث

(١) **اليونيني (قطب الدين أبي الفتح موسى بن أحمد بن قطب الدين اليونيني البعلبكي الحنبلي) ت ٧٢٦هـ . " ذيل مرآة الزمان " ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، الطبعة الأولى ١٩٥٥م ، جـ٢ ص٢٦٨ – ٢٦٩ .**

المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الشافعي المقريزي) ت ٨٤٥هـ . " كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك " ، تحقيق د/ محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣م ، جـ١ قسم ٢ ص٥٧٢ هامش ١ .

" **المعجم في اللغة الفارسية** " نقله إلى العربية د/ **محمد موسى هنداوي** ، مكتبة الأنجلو ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص١٠٨ .

(٢) **بيبرس :** كلمة تركية معناها الأمير الفهد ؛ وقد حكم بيبرس دولة المماليك بمصر من عام ٦٥٨ – ٦٧٦هـ / ١٢٥٩ – ١٢٧٧م . انظر " خليل القونوي " في كتابه " ترجمان تركي عربي " ص٢٥ ، وابن إياس في كتابه " بدائع الزهور في وقائع الدهور " جـ١ قسم ١ ص٣٠٨ – ٣٤٢ .

(٣) **آباقا خان :** تولى " آباقا خان " حكم الإيلخانيين بفارس في الثالث من رمضان عام ٦٦٣هـ / ١٢٦٤م ، وكانت دولته تضم وقتذاك خراسان وإقليم عراق العجم ، وبلاد الجبل ، وإقليم عراق العرب ، وإقليم اذربيجان ، وإقليم خوزستان / وإقليم فارس ، وإقليم ديار بكر ، وبلاد السلاجقة بآسيا الصغرى .

وقد توفي " أباقا خـان " فـي العشـرين مـن ذي الحجـة عـام ٦٨٠هـ / ١٢٨٢م بعد حكم دام سـبعة عشـر عامـا تقريبـا .
انظر " الهمذاني " في كتابه " جامع التواريـخ " مجلـد ٢ جـ٢ ص٣ ، وأبو الفدا في كتابـه " المختصـر فـي أخبـار البشـر " جـ٤ ص٢ -٣

(٤) **كاشمان (جرج)** (لماذا تنشـب الحـروب ؟ مدخـل لنظريـات الصـراع الدولي) ، ترجمة د/ أحمـد حمـدي محمـود ، الهيئـة العامـة للكتاب ، القـاهرة ١٩٩٦م جـ١ ص٧٢ .

(٥) **العيني** (محمود بن أحمد بن موسى بـن أحمـد أبـو محمـد بـدر الديـن العيني) ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م . " عقـد الجمـان فـي تـاريخ أهل الزمان " مخطـوط بـدار الكتـب المصريـة تحـت رقـم ١٥٨٤ **تـاريخ** ، جـ١٨ قسـم ٤ ، ورقـة ٦١٤ ، حـوادث ٦٧٥هـ .

(٦) **ابن العـبري** (أبـو الفـرج جمـال الديـن غريغوريـوس الملطـي) ت ٦٨٥هـ . " **تـاريخ مختصـر الدول** " المطبعـة الكاثوليكيـة ، بـيروت ، لبنـان ط٢ ١٩٥٨م ص٢٦٣ - ٢٦٤ .

بيبرس الدوا دار (ركن الدين بيبرس الخطـائي المنصـوري) ت ٧٢٤هـ . (زبدة الفكرة في تـاريخ الـهجرة ، الجـزء التاسـع ، تحقيـق أ. د/ زبيدة محمد عطـا ، القـاهرة ١٩٧٥م ، ص٦٣ .

أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن الملك الأفضل نور الديـن علـي بـن جمـال الدين محمود بن محمد بـن عمـر بـن شاهنشـاه بـن أيـوب)

ت ٧٣٢هـ ." **المختصر في أخبار البشر** " "١ ، القاهرة ، المطبعة الحسنية ١٩٠٧م ، جـ٣ ص٣١٨ .

Rice, Tamar, Talbot, The Seljuks In Asia Minor, London, 1961, P. 256.

(٧) **بيبرس الدوادار** : المصدر السابق الجزء والصفحة .

النويري : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ت ٧٣٣هـ) . " نهاية الأرب في فنون الأدب ، مخطوط رقم ٥٤٩ معارف عامة بدار الكتب المصرية ، جـ ٢٥ ورقة ٣٩ .

Cahen, Claude, Pre ottoman Turkey, translated From The franch by J. Jones-williams, London 1968, P. 279.

(٨) **ابن العبري** : المصدر السابق والصفحة .

(٩) **بيبرس الدوادار** : المصدر السابق الجزء والصفحة .

النويري (نهاية الأرب في فنون الأدب) تحقيق د/ محمد عبد الهادي شعيرة ، مراجعة د/ محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٩٠م جـ٣٠ ص٧٥ .

المقريزى : المصدر السابق جـ١ قسم ٢ ص٤٠٨ .

(١٠) **ابن العبري** : (تاريخ الزمان) نقله إلى العربية ، الأب اسحاق أرملة، قدم له الأب الدكتور جان موريس فيبة ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م ص٣٢١ - ٣٢٢ .

(١١) **اليونيني** : المصدر السابق جـ١ ص٥٣٦ - ٥٣٧ ، حوادث ٦٦١هـ .

(١٢) **الآقسراى :** **(محمود بن محمد الآقسراي) ، من مؤرخي القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي . " مسامرة الأخبار** ومسايرة الأخيار) نصوص منشورة بكتاب (أخبار سلاجقة روم) للدكتور / محمد جواد مشكور ، الطبعة الأولى ، طهران ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م ، ص٤١٨ .

(١٣) **اليونيني :** المصدر السابق جـ٢ ص٤٠٤ .

(١٤) **اليونيني :** نفس المصدر والجزء والصفحة .

(١٥) **اليونيني :** نفس المصدر والجزء ص٤٠٥ .

الذهبي : (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ) " كتاب دول الإسلام " ، تحقيق / فهيم محمد شلتوت ، ومحمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٤هـ ، جـ٢ ص١٧٠ .

(١٦) **اليونيني :** المصدر السابق جـ٢ ص٤٠٥ حوادث ٦٦٦هـ .

النويري : المصدر السابق (مخطوط) جـ٢٥ ورقة ٣٩ .

أبو الفدا : المصدر السابق جـ٤ ص٥ .

(١٧) **اليونيني :** المصدر السابق جـ٢ ص٤٠٤ - ٤٠٥ .

النويري : المصدر السابق جـ٢٥ ورقة ٣٩ .

الاقسراي : المصدر السابق ص٤١٨ .

(١٨) **اليونيني :** المصدر السابق جـ٢ ص٤٠٦ .

أبو الفدا : المصدر السابق جـ٤ ص٥ .

(١٩) **ابن العبري :** **تاريخ الزمان ص٣٢٥ .**

(٢٠) **اليونيني :** **نفس المصدر جـ٣ ص٣٤ .**

(٢١) **النويري :** نهاية الأرب جـ٣٠ ص١٩١ – ١٩٢ .

(٢٢) **اليونيني :** المصدر السابق جـ٣ ص٣٤ .

ابن أبي الفضائل : النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ص٢٢٧ .

ابن أيبك : أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري ت ٧٣٢هـ . " الدرة الذكية في أخبار الدولة التركية ، تحقيق أولرخ هارمان، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م ، ص١٧٨ .

(٢٣) **اليونيني :** المصدر السابق جـ٣ ص١١٣ .

(٢٤) **ابن أبي الفضائل :** المصدر السابق والصفحة .

(٢٥) **أبو الفدا :** المصدر السابق والجزء ص٩ .

الذهبي : المصدر السابق والجزء ص١٧٥ .

(٢٦) **النويري :** المصدر السابق جـ٣٠ ص٣٣٧ – ٣٤٢ .

(٢٧) **النويري :** المصدر السابق ص٣٣٨ – ٣٣٩ .

(٢٨) **النويري :** نفس المصدر ص٣٣٩ .

(٢٩) **النويري :** نفس المصدر والصفحة .

(٣٠) **النويري :** نفس المصدر والصفحة .

(٣١) **ابن أبي الفضائل :** المصدر السابق ص٢٢٧ – ٢٢٨ .

(٣٢) **ابن العبري : المصدر السـابق (تـاريخ الزمـان) ص٣٢٦ .**

(٣٣) **ابن العبري :** نفـس المصـدر ص٣٢٩ .

(٣٤) **ابن العبري :** نفـس المصـدر ص٣٣٤ .

(٣٥) **اليونيني :** المصدر السابق جـ٣ ص١١٤ حـوادث ٦٧٤هـ .

ابن شاكر : صلاح الدين أبو عبد الله محمد بن أحمـد بـن شـاكر ت٧٦٤ " عيون التواريخ " مخطوط بدار الكتـب المصريـة تحـت رقـم ١٤٩٧ تاريخ ، القسم الثـالث ورقـة ٤٩ .

سرور (محمد جمال الديـن) ، دولـة الظـاهر بيـبرس فـي مصـر ، القـاهرة ١٩٦٠م ، ص٩٨ .

(٣٦) **موير :** المرجـع السـابق ص٤٤ – ٤٥ .

(٣٧) **النويري :** المصدر السـابق والجـزء ص٤١ – ٤٢ .

(٣٨) **موير :** المرجـع السـابق ص٥٠ – ٥١ .

(٣٩) **موير :** نفس المرجـع ص٥١ .

(٤٠) **النويري :** المصـدر السـابق والجـزء ص٢٥٩ – ٢٦٠ .

(٤١) **النويري :** نفس المصـدر والجـزء ص٢٦٠ .

(٤٢) **النويري :** نفس المصـدر والجـزء ص٢٦١ .

(٤٣) **النويري :** نفس المصدر والجـزء والصفحـة .

(٤٤) **موير :** المرجع السـابق ص٥٤ .

(٤٥) **النويري :** المصدر السـابق والجـزء ص٢٩٠ .

(٤٦) **النويري** : **نفس المصـــــدر والجـــزء ص٢٩١ – ٢٩٢ .**

(٤٧) **موير** : **المرجع الســـابق والصفحـــة .**

(٤٨) **النويري** : **المصـــدر الســـابق ص٢٦٢ .**

(٤٩) **النويري** : نفـــس المصـــدر ص٢٦٢ – ٢٦٣ .

(٥٠) **النويري** : نفـــس المصـــدر ص٢٦٣ – ٢٦٥ .

(٥١) **النويري** : نفـــس المصـــدر ص٣٣٣ –٣٣٤ .

(٥٢) **النويري** : نفـــس المصـــدر ص٣٣٤ .

(٥٣) **النويري** : نفـــس المصـــدر ص٣٣٥ .

(٥٤) **اليونيني** : المصدر الســـابق جـــ٣ ص١١٥ .

(٥٥) **ابن شاكر** : المصدر الســـابق ورقـــة ٥٠ .

(٥٦) **النويري** : المصـــدر الســـابق ص٢١٩ .

(٥٧) **العيني** : المصدر الســـابق جـــ١٨ ص٥٩٨ .

(٥٨) **ابن بهادر** : محمد بن محمد بن محمد المؤمن أبـــو الفضـــل كمـــال الديـــن ابن بهادر ت ٨٧٧هـــ . فتوح النصر في تـــاريخ ملـــوك مصـــر مخطوط بدار الكتـــب المصريـــة تحـــت رقـــم ٢٣٩٩ تـــاريخ ، ورقـــة ١٢٨ .

(٥٩) **ابن الفرات** : ناصر الديـــن محمـــد بـــن عبـــد الرحيـــم بـــن الفـــرات ت ٨٠٧هـــ . تاريخ الدول والملوك ، المجلـــد الســـابع ، تحقيـــق د/ قسطنطين زريـــق ، بـــيروت ١٩٤٢م ، ص٤٢ .

(٦٠) **اليونيني** : المصدر السابق الجـــزء الصفحـــة .

(٦١) **ابن شاكر :** **المصدر السابق ورقة ٤٩ .**

(٦٢) **النويري :** **المصدر السابق ٢١٩ .**

(٦٣) **اليونيني :** المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٦٤) **ابن شاكر :** المصدر السابق ورقة ٥٠ .

(٦٥) **اليونيني :** المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٦٦) **اليونيني :** نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٦٧) **ابن شاكر :** المصدر السابق ورقة ٥٠ .

(٦٨) **النويري :** المصدر السابق ص٢١٩ – ٢٢٠ .

(٦٩) **العيني** :المصدر السابق قسم ٤ جـ١٨ ورقة ٥٩٨ .

ابن بهادر : المصدر السابق ورقة ١٢٨ .

(٧٠) **العيني :** المصدر السابق والجزء والورقة .

(٧١) **العيني :** المصدر السابق والجزء والورقة .

سرور (محمد جمال) : المرجع السابق والصفحة .

(٧٢) **العيني :** المصدر السابق ورقة ٥٩٩ .

ابن بهادر : المصدر السابق ١٢٩ .

(٧٣) **العيني** : المصدر السابق ورقة ٦٠٠ .

ابن بهادر : المصدر السابق ورقة ١٩٨ .

(٧٤) **العيني :** المصدر السابق ورقة ٦٠٠ .

(٧٥) **ابن بهادر :** المصدر السابق ص١٢٩ .

(٧٦) **ابن أيبك :** المصدر السابق ص١٦٩ – ١٩٢ .

(٧٧) **العيني :** المصدر السابق ورقة ٦٠١ .

(٧٨) **العيني :** نفس المصدر والورقة .

ابن بهادر : المصدر السابق ورقة ١٢٩ .

(٧٩) **اليونيني :** المصدر السابق والجزء ص١١٦ .

(٨٠) **النويري :** المصدر السابق ص٢١٩ .

اليونيني : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٨١) **النويري :** المصدر السابق ص٢٣٣ .

(٨٢) **النويري :** نفس المصدر والصفحة .

(٨٣) **النويري :** نفس المصدر والصفحة .

(٨٤) **النويري :** نفس المصدر ص٢٣٤ .

(٨٥) **النويري :** نفس المصدر والصفحة .

(٨٦) **النويري :** نفس المصدر ص٣٥٠ .

ابن عبد الظاهر : محيى الدين عبد الظاهر ت ٦٩٢هـ . الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر الرياض ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ ، ص٤٥٨ .

(٨٧) **النويري :** المصدر السابق ص٣٥١ .

ابن عبد الظاهر : المصدر السابق والصفحة .

(٨٨) **النويري :** المصدر السابق والصفحة .

(٨٩) **النويري :** نفس المصدر ص٣٥١ – ٣٥٣ .

ابن العبري : المصدر الســــابق (تــاريخ الزمـــان) ص٣٣٥ .

(٩٠) **النويري** : المصــــدر الســـابق ص٣٥٣ .

ابن عبد الظـــاهر : المصـــدر الســـابق ص٤٦١ - ٤٦٧ .

(٩١) **موير** : المرجع الســــابق ص٥٨ .

(٩٢) **ابن العبري** : المصـــدر الســابق ص٣٣٥

(٩٣) **النويري** : المصـــدر الســابق ص٣٥٤ .

ابن عبد الظاهر : المصـــدر الســابق ص ٤٧٢ .

(٩٤) **النويري** :المصـــدر الســابق ص٣٥٤ - ٣٥٦ .

(٩٥) **النويري** : نفـــس المصـــدر ص٣٥٦ .

(٩٦) **النويري** : نفـــس المصـــدر ص٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٩٧) **النويري** : نفـــس المصـــدر ص٣٥٧ .

(٩٨) **النويري** : نفـــس المصـــدر ص٣٥٩ .

(٩٩) **النويري** : نفـــس المصـــدر ص٣٥٩ -٣٦٠ .

(١٠٠) **النويري** : نفـــس المصـــدر ص٣٦٠ - ٣٦١ .

(١٠١) **الهمذاني** : المصدر الســابق مجلــد ٢ جـــ ٢ ص٦٢ .

ابن أبي الفضـــائل : المصـــدر الســابق ص٢٦٩ ٢٧٠ .

(١٠٢) **النويري** : المصـــدر الســابق ص٣٦١ - ٣٦٢ .

الهمذاني : المصدر الســابق المجلــد والجــزء ص٦٣ .

العيني : المصدر السابق ورقـــة ٦١٣ .

(١٠٣) **الهمذاني** : المصدر الســابق والجــزء ص٦٥ .

(١٠٤) **الهمذاني** : نفس المصدر والجــزء والصفحــة .

الاقسراي : المصـــدر الســابق ص٤٣١ .

المحتـــــوى

